سلسلة مناهج دورات العلوم الشرعية

فئة المتخصصين في العلوم الشرعية

الدعوة

تأليف

الأستاذ الدكتور / محمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار
وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
لخدمة المجتمع والتعليم المستمر

كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العمار، حمد بن ناصر
الدعوة / حمد بن ناصر العمار - الرياض ١٤٢٥هـ
٢١٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٩-٨-٩٤٩٣-٩٩٦٠
١- الدعوة الإسلامية أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٥/١٥٣٥

رقم الإيداع: ١٤٢٥/١٥٣٥
ردمك: ٩-٨-٩٤٩٣-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٠٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠
E-mail: eshbelia@hotmail.com

سلسلة مناهج دورات العلوم الشرعية

الدعوة

فئة المتخصصين في غير العلوم الشرعية

تأليف

الأستاذ الدكتور / حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
لخدمة المجتمع والتعليم المستمر

كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فاستشعاراً لواجب الدعوة إلى الله تعالى المستوجبة لحمل رسالة الإسلام الخيرة، ونشر العلم الشرعي، والإسهام في خدمة المسلمين؛ دأبت كثير من المؤسسات الرسمية والخيرية في المملكة العربية السعودية وخارجها -مشكورة- على إقامة دورات داخلية وخارجية.

وقد برزت خلال تلك الدورات الحاجة إلى مناهج وكتب تُدرَّس فيها؛ ولذلك عزمت (دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع في الرياض) بالتعاون مع بعض المهتمين على وضع مناهج وتأليف كتب خاصة بالدورات بأنواعها.

فبادرت إلى العمل على تحقيق ذلك الهدف المنشود، بتكوين لجنة علمية متخصصة لإنجاز ما يلي:

أولاً: وضع تصور عن دورات العلوم الشرعية من حيث:

تعريفها، وأهدافها، ومدّتها، وفئات الدارسين، والمقررات الدراسية فيها.

ثانياً: وضع الخطط الدراسية لفئات الدارسين.

ثالثاً: وضع المناهج الدراسية من حيث: أهدافها، ووجهتها، ومفرداتها.

رابعاً: صياغة ضوابط التأليف.

ثم عهد بتأليف المقررات إلى متخصصين في كل فن من العلوم الشرعية.

على أن تعرض هذه المؤلفات على فاحصين متخصصين لتدارك ما قد يكون فيها من ملحوظات تستوجب التعديل.

ورغبةً في الإفادة من هذه المقررات، فقد بادرت الدار إلى طباعة جملة منها في طبعة تجريبية محدودة، دون عرضها على الفحص، على أن يتم ذلك الأمر -بمشيئة الله- في وقت لاحق، ومن ثمّ طباعتها في صورتها النهائية.

لذلك، فإن ما نأمله من كل من يطلع على هذه المقررات، موافاتنا بما يمكن أن يقف عليه من ملحوظات، من شأنها أن تسدد العمل، وتساعد على إشاعة النفع به.

نسأل الله عزّ وجلّ التوفيق والسداد وعظيم الأجر والمثوبة للقائمين على هذا العمل ولكل المسهمين فيه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

الناشر

مقرر الدعوة لفئة المتخصصين في العلوم الشرعية

عدد ساعاته : ٧ ساعات　　　نسبتها : ١٠٪

وجهة المقرر:

يتناول المقرر لهذه الفئة ما يلي :

١ - مقدمة في :

أ- تعريف الدعوة ، والفرق بينها وبين المصطلحات المقاربة مثل : الاحتساب ، والنصيحة.

ب- حكم الدعوة في الإسلام ، وحاجة الناس إليها.

٢- الداعية إلى الله : إعداده ، وخصائصه.

٣- منهج الدعوة وضوابطه ، مثل : مراعاة حال المدعوّين ، المرحليّة ، التدرّج ، الشموليّة في الدعوة إلى الله.

٤- وسائل الدعوة.

الخطة الدراسية لفئة المتخصصين في العلوم الشرعية:

المقرر	عدد الساعات	النسبة
العقيدة	١٤	٢٠٪
علوم القرآن والسنة	١٤	٢٠٪
الفقه	١٤	٢٠٪
أصول الفقه	١٠	١٥٪
الدعوة	٧	١٠٪
الثقافة الإسلامية	١١	١٥٪
المجموع	٧٠	١٠٠٪

المقدمة

الحمد لله حمداً يليق بجلال الله وعظمته، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، وقدوة الدعاة محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه، ومن استن بسنته واقتدى بهديه إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فإنّ الله عز وجل جعل من أبرز مسوِّغات تفضيل هذه الأمة على غيرها من الأمم السابقة لأجل قيامها بواجب الدعوة إلى الله، وإنارة الطريق للسالكين، وقد جاءت نصوص شرعية كثيرة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية تبين حقيقة هذا الأمر.

إنّ إهداء الخير للغير، -خاصة إذا ما كان محتاجاً إليه- من أفضل الأعمال عند الله عز وجل، وإنّ حال الداعية في ذلك يشبه حال منقذ الغريق، ومسعف المصاب، فالحاجة إليه دائمة ويصدق عليه ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنّ لله أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويُقِرُّهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحوّلها إلى غيرهم)**[1].

وإنّ الداعية الموفق هو الذي يكون مفتاحاً لباب كلِّ خير، ومغلاقاً لباب كلِّ شرّ، ومن ورائه يأتي الخير الكثير، وبسببه يمنع الشرّ المستطير، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنّ من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشرّ، وإنّ من الناس مفاتيح للشرّ مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويلٌ لمن جعل الله مفاتيح الشرّ على يديه)**[2]

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني ٢٦٤/٤ رقم ١٦٩٢.

(٢) أخرجه ابن ماجة في: المقدمة، باب: من كان مفتاحاً للخير، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ٤٦/١ رقم ٢٣٧.

وقال ابن القيم رحمه الله : "فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد"[1] .

إنَّ تعليم الناس الخير بمختلف فئاتهم ليعملوا به من أفضل القُرَب عند الله تعالى، وقد فقه العلماء الربانيون السابقون رحمهم الله هذا الأمر فتراهم يتنافسون فيما بينهم على نشر الفضيلة وجذب الناس إليها، وعلى التحذير من الرذيلة وتوعية الناس بضررها وفسادها وخطرها على الفرد والمجتمع.

وقد اجتهدت وسعي في عرض بعض المسائل والقضايا المتعلقة بالدعوة لعلّ الله عز وجل أن ينفع بها المشتغلين بالدعوة و غيرهم وقد جاءت في فصول خمسة هي على النحو الآتي :

الفصل الأول تحت عنوان : (حقيقة الدعوة إلى الله وحكمها).

الفصل الثاني تحت عنوان : (منهج الدعوة وضوابطه).

الفصل الثالث تحت عنوان : (صفات الداعية وإعداده).

الفصل الرابع تحت عنوان : (وسائل الدعوة وأساليبها).

الفصل الخامس تحت عنوان : (كيفيَّة الدعوة باعتبار أصناف المدعوِّين).

وفي الختام : أسأل ا لله سبحانه أن يوفِّقنا لصالح القول والعمل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ١/ ١٥٣.

الفصل الأول

حقيقة الدعوة إلى الله وحكمها

المبحث الأول: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: العلاقة بين مصطلح الدعوة والمصطلحات الدعوية الأخرى "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الاحتساب، النصيحة، الموعظة، البلاغ، الإصلاح"

المبحث الثالث: حكم تبليغ الدعوة إلى الله

المبحث الرابع: فضل الدعوة إلى الله

المبحث الخامس: أهمية الدعوة إلى الله والحاجة إليها

المبحث الأول

تعريف الدعوة لغة واصطلاحا

الدعوة في اللغة:

قال ابن فارس:

(دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو: أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك[(1)].

والدعوة مصدر للفعل الثلاثي، دعا، يدعو، دعوة، ولها معان متعددة كلها تدور حول: الطلب، والسؤال، والنداء، والتجمع، والدعاء، والاستمالة، والاستغاثة[(2)].

ولفظ الدعوة يطلق على: الدعوة إلى الخير، وعلى: الدعوة إلى الشر، ويتحدد معناها المراد من خلال سياقها.

فمن استعمال كلمة الدعوة في الخير:

قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾[الرعد: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[يونس: ٢٥].

وفي كتابه ﷺ إلى هرقل: (مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين)[(3)].

ومن استعمال كلمة الدعوة في الشر:

ما قاله القرآن الكريم عن يوسف ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ﴾ [يوسف: ٣٣] أي: من طاعة النسوة والوقوع في الإثم.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون ٢٧٩/٢ (مادة: دعو).

(٢) المرجع السابق ٢٧٩/٢ وما بعدها، لسان العرب، ابن منظور ٢٥٧/١٤ وما بعدها (مادة: دعا)، الصحاح، الجوهري (مادة: دعا) ١٨٦٥/٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي ٦/١-٨ رقم ٧، وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد، باب: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ١٣٩٣/٣-١٣٩٧ رقم ١٧٧٤.

ومن استعمال كلمة الدعوة في الخير والشر:

ما حكاه القرآن الكريم عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[غافر: ٤١]، وما حكاه القرآن الكريم عن المشركين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ﴾[البقرة: ٢٢١].

ومنه: حديث عكرمة أنَّ ابن عباس قال له ولعليّ بن عبدالله: ائتيا أبا سعيد فاسمعا من حديثه، فأتيا وهو وأخوه في حائط لهما يسقيانه، فلما رآنا جاء فاحتبى وجلس فقال: كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة، وكان عمار ينقل لبتين لبتين، فمر به النبي ﷺ ومسح عن رأسه الغبار وقال: (وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ)[1].

الدعوة في الاصطلاح:

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على: الإسلام الذي هو موضوع الدعوة، كما تطلق على: عملية نشر الإسلام وتبليغه للناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد معناها.

ولا شك أنَّ الدعوة بمعنى: نشر الإسلام وتبليغ أحكامه للناس، أصبحت علماً مستقلاً وقائماً بذاته، وله تفريعاته، وأركانه، ومسائله، وقضاياه، وهو بذلك يتواكب مع سائر العلوم الإسلامية الأخرى يفيد منها ويفيدها.

أولاً: تعريف الدعوة بمعنى: الإسلام أو الدين الذي هو موضوع الدعوة.

قيل هي: الإسلام وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك[2]. وقيل هي: دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، تجدّد على يد

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله ٣/٢٧٢ - ٢٧٣ رقم ٢٨١٢.

(٢) ثلاثة الأصول وأدلتها، الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب ٨.

محمد ﷺ خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدين والآخرة"[1].

وقيل هي: "النظام العام، والقانون الشامل لأمور الحياة، ومناهج السلوك للإنسان، التي جاء بها محمد ﷺ من ربّه، وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب، في الآخرة"[2].

ثانياً: تعريف الدعوة بمعنى نشر الإسلام وتبليغ احكامه.

قيل هي: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إيّاهم، وتطبيقه في واقع الحياة"[3].

وقيل هي: العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة إلى تبليغ الناس بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"[4].

وقيل هي: فنّ يبحث في الكيفيّات المناسبة التي تجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها"[5].

وأقول إنّ الدعوة بمعنى النشر والبلاغ هي:

استخدام كافة فنون القول، ومهارات التبليغ لجذب المدعوين إلى الإسلام بطريقة مشروعة.

وهذه التعاريف لا منافاة بينها، بل بعضها يكمل البعض الآخر، فهي ليست من باب اختلاف التضاد لكنها من باب اختلاف التنوع، وكل تعريف عني بجانب مهم من جوانب الدعوة.

---

(١) الدعوة الإسلامية "دعوة عالمية"، محمد الراوي ٣٩.

(٢) الدعوة الإسلامية، "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش ١٢ وما بعدها.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني ١٧.

(٤) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش ١٠.

(٥) الدعوة والإنسان، د. عبدالله الشاذلي ٣٩.

المبحث الثاني

العلاقة بين مصطلح الدعوة والمصطلحات الدعوية الأخرى:

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- الاحتساب
- النصيحة
- الموعظة
- البلاغ
- الإصلاح

سبق التعريف بمصطلح الدعوة في المبحث السابق، وفي هذا المبحث سنعنى بتعريف بعض المصطلحات الدعوية الأخرى والتي لها علاقة من قريب أو من بعيد بالدعوة، ونتعرف على مدى هذه العلاقة:

أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المعروف في اللغة:

يدور معنى المعروف في اللغة غالباً على ما تعارف عليه الناس وعلموه ولم ينكروه [(١)].

جاء في القاموس: عرفه يعرفه وعرفاناً، وعَرِفه بالكسر، وعِرِفّانا -بكسرتين مع تشديد الفاء- علمه، والمعروف ضدّ المنكر [(٢)].

وقال ابن فارس: العين والراء والفاء أصل صحيح تدلّ على معان منها: السكون، والطمأنينة إلى الشيء، يقال: هذا أمر معروف، أي أنّ النفس تألفه وتسكن إليه [(٣)].

وجاء في المعجم الوسيط: العُرْف: المعروف وهو خلاف المنكر، وما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم [(٤)].

المعروف في الاصطلاح:

المعروف هو كل ما يعرفه الشرع ويأمر به ويمدحه، ويثني على أهله، ويدخل في ذلك: جميع الطاعات، وفي مقدمتها: توحيد الله عز وجل والإيمان به [(٥)].

---

(١) (ادع إلى سبيل ربك) - د. مصلح سيّد بيومي ١٤.

(٢) الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان -محمد سعيد البارودي ٢٦.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة - د. محمد أبو الفتح السانوني ١٨.

(٤) المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وآخرون ٦٠١/٢.

(٥) انظر: القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالعزيز الراجحي ١٠، المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٣٣١، والتعريفات، الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٢٧٥، من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محمد عبدالله الخطيب ١٣، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد عز الدين البيانوني ٧، تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الله بن صالح القصير ٧.

المنكر في اللغة:

يدور معنى المنكر في اللغة غالباً على ما جهله الناس واستنكروه وجحدوه[(١)] .

جاء في القاموس المحيط وغيره: النّكر بالضم بضمتين، المنكر كالنكراء، والأمر الشديد، والنكرة: خلاف المعرفة، وتناكر: تجاهل، والقوم: تعادوا، ونكر فلان الأمر كفرح مكراً محركة، ونُكُراً، ونُكُورا بضمها، ونكيرا، وأنكره واستنكره، وتناكره جهله، والمنكر ضدّ المعروف، يقال: نكر الشيء وأنكره: لم يقبله ولم يعترف به لسانه[(٢)] .

والمنكر واحد المناكير، والنكير والإنكار: تغيير المنكر، والنّكرة هو المنكر ومنه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾[الكهف: ٧٤][(٣)] .

المنكر في الاصطلاح:

المنكر هو: كل ما ينكره الشرع وينهى عنه ويذمّه ويذمّ أهله.

ويدخل في ذلك جميع المعاصي والبدع، وفي مقدمتها: الشرك بالله عز وجل، وإنكار وحدانيته، أو ربوبيته، أو أسمائه، أو صفاته[(٤)] .

---

(١) القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي ٨.

(٢) القاموس المحيط، فيروز أبادي ٢/٢٠٨ (مادة: نكر)، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/٢٨١ (مادة: نكر).

(٣) انظر: مختار الصحاح، الرازي ٦٧٩.

(٤) انظر: القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي ١٠، التعريفات، الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٢٩٠، من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محمد عبدالله الخطيب ١٣، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد عزالدين البيانوني ٧.

والنكر هو كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استباحته واستحسانه العقول، فتحكم الشريعة بقبحه"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وإذا كان جماع الدين وجميع الولايات هو أمرٌ ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله ﷺ هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر"[2].

وقال أيضاً: "وتحريم الخبائث مما يندرج في معنى النهي عن المنكر، كما أنَّ إحلال الطيبات يندرج في الأمر بالمعروف؛ لأنّ تحريم الطيبات مما نهى الله عنه"[3].

وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر، فإنّه يدخل فيه النهي عن المنكر؛ وذلك لأنّ ترك المنهيّات من المعروف، ولأنّه لا يتمّ فعل الخير إلا بترك الشرّ، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[النساء: ١١٤]، فإنّ الأمر بالمعروف يتضمّن النهي عن المنكر.

وكذلك إذا أطلق النهي عن المنكر -من غير أن يقرن بالأمر بالمعروف- فإنه يدخل فيه الأمر بالمعروف؛ وذلك لأنّ ترك المعروف من المنكر، ولأنه لا يتم ترك الشرّ إلا بفعل الخير.

ومثال ذلك قوله الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾[الأعراف: ١٦٥].

فإن نهيهم عن السوء يتضمّن أمرهم بالخير.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني: تحقيق: محمد سيد كيلاني ٥٠٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم ٦٥/٢٨.

(٣) المرجع السابق ١٢٢/٢٨.

وأمّا عند اقتران أحدهما بالآخر فيفسّر المعروف بفعل الأوامر، ويفسّر المنكر بترك النواهي، وأمثلة ذلك كثيرة في كتاب الله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٧١].

العلاقة بين الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- من الباحثين في مجال علم الدعوة من لا يرى فرقاً بين الدعوة وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بل يراهما بمعنى واحد، فهما وجهان لعملة واحدة، ويقول بأن النصوص الشرعية أمرت كل أحد بأن يدعو إلى الله وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وذلك لأنهما بمعنى شيء واحد، وقد جعل الله الخيرية والفضل لهذه الأمة لقيامها بهذا الواجب، وعلى هذا جاء قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالدعوة إلى الله تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به، والنهي عن كل ما نهى الله عنه، وهذا هو الأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر، والرسول ﷺ قام بهذه الدعوة، فإنه يأمر بكل معروف وينهى عن كل منكر"[(١)].

وقال أيضاً: "وقد تبين بذلك أن الدعوة نفسها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فإن الداعي طالب مستدع مقتضى لما دعا إليه، وذلك هو الأمر به، إذ الأمر هو طلب الفعل المأمور به، واستدعاء له، ودعاء إليه، فالدعاء إلى الله، الدعاء إلى سبيله، فهو أمر بسبيله، وسبيله: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر"[(٢)].

٢- ومن الباحثين في مجال علم الدعوة من يفرّق بين الدعوة إلى الله وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويرى أنّهما يتوافقان من وجه ويختلفان من وجه آخر،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم ١٥/١٦١.

(٢) المرجع السابق ١٥/١٦٦.

فيتفقان من حيث الفضل والأجر والمكانة، والنتيجة والمؤدى، ويختلفان من حيث الإجراء والطريقة، وعلى هذا جاءت النصوص الشرعية مفرّقة فيما بين المصطلحين ومن ذلك على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤].

فالواو العاطفة تقتضي مغايرة المعطوف عن المعطوف عليه.

كما يرى هذا الفريق من الباحثين أنَّ الدعوة أعم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالدعوة تقدّم للمسلمين للترقي في درجات الإسلام والكمال والفضل والابتعاد عن النقائص والرذائل، كما تقدم لغير المسلمين لجذبهم إلى الإسلام وإدخالهم فيه، بينما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يساق إلا للمسلمين الذين تحدّد لهم مفهوم المعروف ومفهوم المنكر فيسوغ عندهم أمرهم ونهيهم إذا اقتضى موجبه، أمّا مفهوم المعروف ومفهوم المنكر عند غير المسلمين فليس مطرداً مع مفهومه عند المسلمين، ولذا فإن غير المسلم قد يقع في الخطأ معتقداً صوابه، لأنه وكما يقال: ليس بعد الكفر ذنب.

والدعوة إلى الله تتطلب وضع برنامج عملي دقيق محكم، يقوم على معرفة نفسية المدعو، واختيار الأسلوب والوسيلة الدعويتين المناسبتين، بينما لا يلزم ذلك في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: الاحتساب:

والاحتساب من الحسب، واحتسبت بالشيء اعتددت به.

قال الأصمعي: فلان حسن الحسبة في الأمر، أي: حسن التدبير والنظر فيه[1].

ولكلمة الحسبة عدة معانٍ منها:

١- طلب الأجر:

وقد جاء هذا المعنى صريحاً في الأحاديث النبوية الآتية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)**[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)**[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: **(مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلا الْجَنَّةُ)**[4].

٢- الإنكار:

يقال: احتسب عليه، أي أنكر عليه قبيح عمله[5]، ومنه: المحتسب الذي ينكر على الناس قبيح أعمالهم.

٣- الظن:

وقد ورد هذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق: ٢-٣]. وقوله تعالى:

---

(١) انظر: مختار الصحاح، الرازي ١٣٤-١٣٥، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد المقري ١/١٦٢-١٦٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: صوم رمضان احتساباً من الإيمان ١/١٧ رقم ٣٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان ١/١٧ رقم ٣٧.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: العمل الذي يبتغى به وجه الله تعالى ٧/٢٢١ رقم ٦٤٢٤.

(٥) لسان العرب، ابن منظور ١/٦٣١.

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾[الزمر: ٤٧]. ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾[الحشر: ٢][١].

المعنى الاصطلاحي:

١- قيل الحسبة: أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله[٢].

٢- وقيل هي: أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله وإصلاح بين الناس[٣].

٣- وقيل الحسبة هي: عبارة عن المنع عن منكر لحقِّ الله، صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر[٤].

٤- وقيل الحسبة هي: وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٥].

٥- وقيل الحسبة هي: رقابة إدارية تقوم بها الدولة لتحقيق المجتمع الإسلامي، بردهم إلى ما فيه صلاحهم وإبعادهم عما فيه ضررهم وفقاً لأحكام الشرع[٦].

٦- وقيل الحسبة هي: فاعلية المجتمع في الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله تطبيقاً للشرع الإسلامي[٧].

---

(١) وللاستزادة انظر: الحسبة "تعريفها ومشروعيتها وحكمها"، د. فضل إلهي ٥-٧، أصول الحسبة في الإسلام "دراسة تأصيلية مقارنة"، د. محمد كمال الدين إمام ١٣-١٤.

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الماوردي، تخريج وتعليق: خالد عبداللطيف السبع العلمي ٣٩١، الأحكام السلطانية، أبو يعلى الفراء الحنبلي، تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي ٢٨٤.

(٣) معالم القربة في أحكام الحسبة، ابن الأخوة القرشي، تحقيق: د. محمد محمود شعبان، وصديق أحمد المطيعي ٥١، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبدالرحمن بن نصر الشيزري، تحقيق: د. السيد الباز العريني ٦.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم ٤١.

(٥) مقدمة ابن خلدون ٢٢٥.

(٦) نظام الحسبة في الإسلام، عبدالعزيز بن محمد المرشد ١٥.

(٧) أصول الحسبة في الإسلام "دراسة تأصيلية مقارنة"، د. محمد كمال الدين إمام ١٦.

ثالثاً: النصيحة

النصيحة في اللغة:

أصلها من الفعل الثلاثي: نصح.

قال الرازي: نصحه، ونصح له، ينصح بالفتح فيهما، نُصحاً بالضم، ونصَاحة بالفتحة، والاسم: النصيحة، والنصح هو: الناصح، وقوم نصحاء بوزن فقهاء، ورجل ناصح الجيب أي نقيّ القلب، والناصح: هو الخالص من كل شيء، وانتصح فلان أي: قبل النصيحة.

يقال: انتصحْني فإني لك ناصح، وتنصّح أي: تشبه بالنُّصحاء، واستنصحه عدّه نصيحاً، وفيه: التوبة النصوح وهي الصادقة[(١)].

وقال المقرّي: نصحت لزيد أنصح نُصحاً ونصيحة، هذه اللغة الفصيحة، وعليها قوله تعالى: ﴿إن أردت أن أنصح لكم﴾[هود: ٣٤]، وفي لغة: يتعدى بنفسه فيقال: نصحته، وهو الإخلاص والصدق والمشورة والعمل، والفاعل: ناصح ونصح، والجمع: نصحاء[(٢)].

وقال فيروز آبادي: نصحه نصحاً ونصاحة ونصاحية، وهو ناصح ونصيح من نُصّح ونُصّاح، والاسم النصيحة، ونصح: خلص، وأرض منصوحة أي: مَجُودَةُ متّصلة النبات[(٣)].

وقال الأصفهاني: والنصح هو تحرّي فعل أو قول فيه صلاح صاحبه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[الأعراف:

---

(١) مختار الصحاح. الرازي ٦٦٢ (مادة: نصح).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. المقري ٧٤٣/٢ (مادة: نصح).

(٣) القاموس المحيط. فيروز آبادي ٥٠٠/١.

٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[الأعراف: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾[هود: ٣٤] وهذا من قولهم: نصحت له الودّ، أي: أخلصته، وناصح العسل: خالصه[1].

النصيحة في الاصطلاح:

قال الجرجاني: النصح هو إخلاص العمل عن شوائب الفساد.

والنصيحة: هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عمّا فيه الفساد[2].

وقال القرطبي: النصح هو إخلاص النّية من شوائب الفساد في المعاملة بخلاف الغش[3].

وقال النووي: ليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة.

وقيل: النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسدّه من خلل الثوب.

وقيل: إنّها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبّهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط[4].

وقال الخطابي: النصيحة كلمة يعبّر بها عن جملة هي: إرادة الخير للمنصوح له[5].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٤٩٤.

(٢) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٢٩٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٣٤/٧.

(٤) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ٣٧/٢.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: د. وهبة الزحيلي ١٤٨/١.

وقال الخطابي أيضاً: النصيحة كلمة جامعة معناها: حيازة الحظ للمنصوح له[1].

وقال أبو عمرو بن الصلاح: النصيحة كلمة جامعة تتضمن: قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً[2].

وخلاصة هذه التعاريف: أن يخلص الإنسان نيّته في قوله وفعله إذا أراد أن ينصح أخاه المسلم وغيره، فلا يقصد بذلك أيّ غرض من أغراض الدنيا، أو الانتصار للنفس، أو الانتقاص للمنصوح، وأن يبذل جهده في النصح بأن يتحرى أحسن أسلوب لديه[3].

العلاقة بين الدعوة والنصيحة:

أرى أن النصيحة إحدى تطبيقات الدعوة وممارساتها العملية، فالنصيحة جزء من الدعوة.

---

(1) فتح الباري، لابن حجر ١/١٣٨.

(2) المرجع السابق ١/١٥٠-١٥١.

(3) النصيحة "شروطها وضوابطها"، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود ١٠.

رابعاً: الموعظة

الموعظة في اللغة:

أصلها من الفعل الثلاثي: وعظ.

قال ابن فارس: الوعظ هو التخويف، والعظة: الاسم منه[(١)].

وقال الرازي: الوعظ هو النصح والتذكير بالعواقب، من باب وعد، وعظه بالكسر، فاتعظ أي قبل الموعظة، يقال: السعد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره[(٢)].

وقال المقري: وعظه، يعظه وعظاً، وعظة أي: أمره بالطاعة ووصّاه بها.

وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾[سبأ: ٤٦] أي: أوصيكم وآمركم. فاتعظ أي: ائتمر وكفّ نفسه، والاسم: الموعظة، وهو واعظ، والجمع: وعّاظ[(٣)].

وقال فيروز آبادي: وعظه، يعظه، وعظاً وعظة، وموعظة، أي: ذكّره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ[(٤)].

وقال الأصفهاني: الوعظ زجر مقترن بتخويف، قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب[(٥)].

الموعظة في الاصطلاح:

قال الجرجاني: الوعظ هو التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب[(٦)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ١٢٦/٦ (مادة: وعظ).

(٢) مختار الصحاح، الرازي ٧٢٩ (مادة: وعظ).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المقري ٨٣٢/٢ (مادة: وعظ).

(٤) القاموس المحيط، فيروز آبادي ٥٩١/٢ (مادة: وعظ).

(٥) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٥٢٧.

(٦) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٣٠٨.

وقال ابن القيم: الموعظة الحسنة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

وقال الشوكاني: الموعظة الحسنة هي المقالة المشتملة على ما يستحسنه السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها.

وقال أيضاً: الموعظة الحسنة هي: الحجج اللفظية الإقناعية، الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة[1].

العلاقة بين الدعوة والموعظة:

أرى أنَّ الموعظة إحدى تطبيقات الدعوة وممارساتها العملية، فالموعظة جزءٌ من الدعوة.

(١) التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي ٣٤٤.

خامساً: البلاغ

أصله من الفعل الثلاثي: بلغ.

قال الرازي: بلغ المكان وصل إليه، وكذا إذا شارف عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾[البقرة: ٢٣٤] أي: قاربنه، وبلغ الغلام: أدرك.

والإبلاغ والتبليغ: الإيصال، والاسم فيه: البلاغ، والبلاغة: الفصاحة، وبَلُغَ الرجل صار بليغاً، والبلاغات كالوشايات، وبالغ في الأمر إذا لم يقصِّر فيه، والبُلغة: ما يُتبلَّغ به من العيش، وتبلَّغ بكذا، أي: اكتفى به[١].

وقال المقري: بلغ الكتاب بلاغاً وبلوغاً: وصل، وبلغت الثمار: أدركت ونضجت، وبالغت في كذا: بذلت الجهد في تتبعه، والبلغة ما يتبلّغ به من العيش ولا يفضل، وفي هذا البلغ، وبلغة، وتبلغ أي كفاية، وأبلغه السلام وبلّغه.

وبلُغ بالضم، بلاغة، فهو بليغ إذا كان فصيحاً طلق اللسان[٢].

وقال فيروز أبادي: بلغ المكان بلوغاً، وصل إليه وشارف عليه، وأمر الله بلْغٌ أي: بالغ، نافذ، يبلغ به أين أريد به، والبليغ: الفصيح، والبلاغ: الكفاية.

والاسم من الإبلاغ، والتبليغ وهما: الإيصال[٣].

وقال الأصفهاني: بلغ البلوغ والبلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصود والمنتهى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدرة، والبلاغ: التبليغ نحو قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾[إبراهيم: ٥٢]، وقوله: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[يس: ١٧]، وقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[المائدة: ٦٧].

---

(١) مختار الصحاح، الرازي ٦٣-٦٤ (مادة: بلغ).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المقري ٧٦/١ (مادة: بلغ).

(٣) القاموس المحيط، فيروز آبادي ١٤٩/٣ (مادة: بلغ).

أي إن لم تبلّغ هذا أو شيئاً مما حمّلت تكن في حكم من لم يبلّغ شيئاً من رسالته، وذلك أنَّ حكم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتكليفاتهم أشد، وليس حكمهم كحكم سائر النّاس يتجافى عنهم إذا خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

والبلاغة تقال على وجهين: أحدهما أن يكون بذاته بليغاً، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف: صواباً في موضع لغته، ومطبقاً للمعنى المقصود به، وصدقاً في نفسه، ومتى اخترم وصف من ذلك كان ناقصاً في البلاغة.

والثاني: أن يكون بليغاً باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمراً فَيَرِدَهُ على وجه حقيق أن يقبله المقول له[1].

البلاغ في الاصطلاح:

هو: تبليغ رسالة الإسلام وإيصالها إلى الناس بوجه مشروع[2].

العلاقة بين الدعوة البلاغ:

أرى أنَّ البلاغ أحد تطبيقات الدعوة ومن ممارساتها العملية، فالبلاغ جزء من الدعوة.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٦٠-٦١.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤/٤٦، و٦/٢٤٢، لباب التأويل في معاني التأويل، الخازن ١/٢٢٤، فتح القدير، الشوكاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٢/٦٢.

سادساً: الإصلاح:

الإصلاح في اللغة:

أصله من الفعل الثلاثي: صلح.

قال الرازي: الصلاح ضدّ الفساد، وبابه دخل، ونقل الفرّاء: صَلُحَ: أيضاً بالضم. وهذا يصلح لك أي: هو من بابتك.

والإصلاح: ضدّ الإفساد، والاستصلاح: ضدّ الاستفساد[(١)].

وقال المقرّي: صلح الشيء صلوحاً من باب قعد، وهو خلاف فسد، وأصلح أتى بالصلاح، وهو الخير والصواب، وفي الأمر مصلحة أي خير، والجمع: المصالح، وأصلحت بين القوم: وفقت، وتصالح القوم واصطلحوا، وهو صالح للولاية أي له أهلية القيام بها[(٢)].

وقال فيروز آبادي: الصلاح: ضدّ الفساد، وأصلحه ضدّ أفسده وإليه أحسن، والصُّلح بالضم: السِّلم، وصالحه مصلحة وصلاحاً، واصّالحا وتصالحا واصطلحا، والمصلحة: واحدة المصالح، واستصلح نقيض استفسد[(٣)].

وقال الأصفهاني: الصلاح ضدّ الفساد، وهما مختصّان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن الكريم تارة بالفساد، وتارة بالسيئة، قال تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[التوبة: ١٠٢]، وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[الأعراف: ٥٦].

والصلح: يختص بإزالة النِّفار بين الناس كما قال تعالى: ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾[النساء: ١٢٨]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾

---

(١) مختار الصحاح، الرازي ٣٦٧ (مادة: صلح).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المقري ٤٠٨/١ (مادة: صلح).

(٣) القاموس المحيط، فيروز آبادي ٤٧٣/١.

[الحجرات: ١٠]. وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إيّاه صالحاً، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون له بالصلاح[١].

الإصلاح في الاصطلاح:

قال التهانوي: الصلاح هو سلوك طريق الهدى، وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع، والصالح: هو القائم بما عليه من حقوق الله تعالى[٢].

العلاقة بين الدعوة والإصلاح:

أرى أنَّ الإصلاح أحد تطبيقات الدعوة ومن ممارساتها العملية، فالإصلاح جزء من الدعوة.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٢٨٤.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، تحقيق: د. لطفي عبدالبديع ٢١٧/٤.

المبحث الثالث

حكم تبليغ الدعوة إلى الله

الدعوة ليست كائناً متحركاً بذاته حتى تصل وحدها إلى الناس، ولكنها مفهوم معنوي يطبقه مخلوق مكلف بعد أن يدركه ويحيط به، ولكونها كذلك فقد أوجب الله تبليغها على جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ..﴾[النحل: ٣٦][(1)]. وكما قال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى: ١٣].

لقد كانت الدعوة إلى الإسلام مهمة جميع الأنبياء فعلاً كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وكما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[النحل: ٣٥]. وبذلك عرّف الله تعالى رسوله محمداً ﷺ؛ لأنه خاتم الرسل عليهم الصلاة والسلام أنَّ تبليغ الدعوة واجب، بل إنّ واجبه كلّه ينحصر في هذا التبليغ، فإذا بلغ ما أرسل به فقد أدى ما عليه كما قال تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾[المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤] وكما قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[النحل: ٤٤]، ومن هنا حرص الرسول ﷺ على تبليغ الدعوة في المجتمع المكي وفي المجتمع المدني، وعرض دعوته على القاصي والداني، وعلى الشريف والوضيع، وعلى الحر والعبد، وعلى كل أحمر وأصفر وأبيض وأسود، وعلى كل عربي وعجمي، وبدأ بدعوته الأقرب فالأقرب ثم تدرج بالدعوة حتى دعا البعيد فالأبعد حتى دعا الناس جميعاً؛ لأن رسالته عالمية وقد بعث إلى الناس جميعاً، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف: ١٥٨].

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش ٣٣، وما بعدها.

وكما جاء في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ)(1).

وكما أنّ رسالة نبينا محمد ﷺ رسالة عالمية فهي رسالة خاتمة لجميع الرسالات السابقة كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الرسول قال: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)(2).

ولكون الرسالة المحمدية الإسلامية ختمت فإنّ الله عز وجل جعل واجب حمل الدعوة على الأمة من بعد رسولها ﷺ، وجعل الخيرية والفضل فيها لقيامها بواجب الدعوة إلى سبيله وطريقه المستقيم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ...﴾[آل عمران: ١١٠].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب: الصلاة، باب: قول النبي ﷺ (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) ١/١٢٩ رقم ٣٤٨، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة ١/٣٧٠-٣٧١ رقم ٥٢١، وللاستزادة انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، للمؤلف ١٨٢ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب: المناقب، باب: خاتم النبيين ٤/١٩٦ رقم ٣٥٣٥، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ٤/١٧٩٠ رقم ٢٢٨٦.

وللاستزادة انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني ١٥٨ وما بعدها.

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل وأنها من الفرائض"[1].

وقد اختلف العلماء رحمة الله عليهم في نوعية الوجوب على قولين:

القول الأول:

يرى أنّ حكم تبليغ الدعوة إلى الله و اجب وجوباً عينيّاً، واستدل بعدد من الأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران: ١٠٤].

فقالوا إنّ من في قوله تعالى ﴿مِّنكُمْ﴾ للبيان، ومعنى الآية: كونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير، ولهذا نظائر في كتاب الله، مثل قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ...﴾[الحج: ٣٠][2].

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣]، فقالوا: وحيث إنّ الانتماء إلى الأمة الإسلامية واجب وجوباً عينياً، فالاتصاف بالصفات السابقة الوارد ذكرها في الآية يكون وجوبه عينياً، لأنّ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٣- قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر بكاملها].

---

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ١٣.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٢/٥٤، زاد المسير، ابن الجوزي ١/٤٣٤.

فأقسم الله تعالى بأن جنس الإنسان في خسارة وهلاك إلا من اتصف بهذه الصفات، والتي منها: التواصي بالحق والذي هو رأس الدعوة إلى الله[(١)].

فبالأمرين الأولين -الإيمان والعمل الصالح- يكمل العبد نفسه، وبالأمرين الأخيرين -التواصي بالحق والتواصي بالصبر- يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة يكون العبد قد سلم من الخسار وفاز بالربح العظيم[(٢)].

القول الثاني:

ويرى أنّ حكم تبليغ الدعوة إلى الله واجب وجوباً كفائياً، ومعناه: أنه إذا قام بواجب الدعوة من فيه الكفاية سقط الإثم عن الباقين. وهو قول الجمهور واستدلوا بأدلة كثيرة. منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤].

فقالوا: إنّ من في قوله تعالى ﴿مِّنكُمْ﴾ للتبعيض وليست للبيان، ومعنى الآية: وليكن من بعضكم أمة يقومون بواجب الدعوة[(٣)].

٢- قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[التوبة: ١٢٢].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٧٤/٤، فتح القدير، الشوكاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٤٩٥/١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق ٩٣٤.

(٣) انظر: أحكام القرآن، الجصاص ٢٩/٢، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم ٦.

فقالوا: إنّ التفقه في دين الله عز وجل فرض كفاية ؛ لأن الله عز وجل طلب خروج طائفة من المؤمنين، ولم يطلب خروج جميع المؤمنين للتفقه ولطلب العلم، وعلى هؤلاء المتفقهين والمتعلّمين تقع مسؤولية الإنذار والبلاغ وليست على عامة المسلمين[(1)] .

٣- لو كان حكم تبليغ الدعوة واجباً وجوباً عينياً على كل أحد من الأمة لوقع الإثم على جميع الأمة، ووقعت في الحرج المؤدي إلى المشقة والعنت لأنها لن تستطيع بكاملها القيام بذلك، وهذا مما لم يرضاه الله تعالى لهذه الأمة ؛ لأن مبنى الأحكام الشرعية قائم على اليسر لا على العسر والمشقة، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج: ٧٨][(2)] .

وينقلب حكم تبليغ الدعوة عند جميع العلماء إلى فرض عين في أحوال منها:

١- التعيين من قبل الوالي:

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء: ٥٩].

٢- التفرد بالعلم الموجب للدعوة:

قال النووي رحمه الله: "ثم إنه قد يتعيّن إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو"[(3)] .

٣- انحصار القدرة في أشخاص محدّدين:

إذا انحصرت القدرة على الدعوة عند أناس ولم يقم غيرهم بها، صارت الدعوة فرض عين في حقّهم.

---

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، شرح وتخريج: عبدالله دراز ١٢٦/١، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٩٣/٨ وما بعدها، فتح القدير، الشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة ٤٣٤/٢، حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته، للمؤلف ٤٣.

(٢) انظر: الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالرحمن المغذوي ٣٧

(٣) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ٢٣/٢.

قال ابن العربي رحمه الله: "وقد يكون فرض عين إذا عرف المرء من نفسه صلاحية النظر، والاستدلال بالجدال، أو عرف ذلك منه"(1).

٤- تغيّر الأحوال:

يرى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله أنَّ الدعوة تكون فرض عين على كل واحد حسب طاقته عند تغيّر الأحوال، وقلّة الدعاة، وكثرة المنكرات، وغلبة الجهل(2).

ومؤدّى الخلاف ونتيجته واحدة، فكلا القولين يريان وجوب تبليغ الدعوة لتنتشر الفضيلة وتندحر الرذيلة، وتحمى بيضة الإسلام، ويكون الدين لله الواحد القهار، فمن يرى أنّ حكم تبليغ الدعوة واجب وجوباً عينياً يهدف إلى ذلك، ومن يرى أنَّ وجوبه وجوباً كفائياً يشترط قيام من تكون به الكفاية، ولا شك أن اشتراط الكفاية أمرٌ شاق وصعب، وقياس الكفاية أمر غير سهل، وعلى هذا فإنّ الخلاف بين القولين نظري لا عملي لأمور من أهمها:

١- اتفاق الطرفين على أصل الوجوب.

٢- اتفاق القائلين بالوجوب الكفائي مع القائلين بالوجوب العيني بأنه إذا لم تحصل الكفاية لم يسقط الحكم عن الباقين، ويبقى الخطاب متوجهاً إلى الجميع حتى تتحقق الكفاية، وإذا لم تتحقق الكفاية أثم الجميع.

٣- القائلون بالوجوب العيني قيدوا الوجوب بالاستطاعة، فمن لم يكن عالماً بحكم المنكر لا يُعدُّ مستطيعاً بالاتفاق، وكذلك من كان عاجزاً عن تغيير المنكر سقط عنه الوجوب، فلا يترتب على القول بالوجوب العيني حرج على أحد.

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ١/٢٩٢.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ١٦، من أقوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، جمع: زياد بن محمد السعدون ١٦.

٤- ولأنه لو سقط الوجوب بقيام من تتحقق بهم الكفاية، بقي الندب، فيندب جميع المسلمين إلى القيام بالدعوة استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣]، وبغير ذلك من نصوص شرعية ترغب في الدعوة وترتب على فعلها الثواب العظيم.

هذا كلّه من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ تصوّر تحقّق الكفاية في جانب الدعوة أمرٌ شبه مستحيل، لأن للدعوة الإسلامية مجالين أساسيين هما:

أ- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ب- ودعوة المسلمين أنفسهم إلى الإسلام على مختلف درجاتهم فيه، وكلا المجالين متجدّد، وتستمر الحاجة إلى الدعوة فيه، ولا يمكن أن تتصوّر الكفاية فيهما إلا على نطاق نادر و محدود[1].

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني ٣٣ وما بعدها.

المبحث الرابع

فضل الدعوة إلى الله

فضائل الدعوة لا تعد ولا تحصى، فمن فضائلها على سبيل المثال ما يلي:

أولاً: الدعوة إلى الله وظيفة المرسلين الذين هم أشرف الخلق:

إنَّ الدعوة إلى الله تعالى من أجل الأعمال وأشرفها، وأفضلها عند الله، وهي وظيفة المرسلين كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾[النساء: ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[الأنعام: ٤٨]، ويفصل القرآن الكريم في قيام الرسل عليهم الصلاة و السلام بواجب الدعوة.

فيخبر القرآن الكريم عن نوح عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾[العنكبوت: ١٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾[نوح: ١].

وكان نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأعراف: ٥٩].

ويخبر القرآن الكريم عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤١-٤٢].

وقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾[الأنبياء: ٥١-٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾[العنكبوت: ١٦].

ويخبر القرآن الكريم عن موسى عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾[غافر: ٢٣-٢٤]. وقال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[طه: ٤٢-٤٤].

ويخبر القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[الصف: ٦].

وكان عيسى عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[آل عمران: ٥٠-٥١].

ويخبر القرآن الكريم عن هود عليه السلام:

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥].

ويخبر القرآن الكريم عن صالح عليه السلام:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾[الأعراف: ٧٣].

ويخبر القرآن الكريم عن شعيب عليه السلام:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ..﴾[الأعراف: ٨٥].

ويخبر القرآن الكريم عن إلياس عليه السلام:

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦)﴾[الصافات: ١٢٣-١٢٦].

ويخبر القرآن الكريم عن محمد عليه السلام:

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ...﴾[يوسف: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾[النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧)﴾[الحج: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧)﴾[القصص: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦)﴾[الأحزاب: ٤٥-٤٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾[فصلت: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ﴾[الشورى: ١٥].

وقال تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ...﴾[المائدة: ٦٧][(١)].

(١) وللاستزادة انظر: نصوص الدعوة في القرآن الكريم "دراسة تأصلية"، للمؤلف ٣٣ وما بعدها، مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة، معالي أ. د. عبدالله التركي ١٣ وما بعدها، دعوة الرسل إلى الله تعالى "غايتها وتاريخها"، د. محمد رجب شتيوي ٦١ وما بعدها.

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

"فالرسل عليهم الصلاة والسلام هم هداة الخلق، وهم أئمة الهدى، ودعاة الثقلين جميعاً إلى طاعة الله وعبادته، فالله سبحانه أكرم العباد بهم، ورحمهم بإرسالهم، وأوضح على أيديهم الطريق السوي، والصراط المستقيم، حتى يكون الناس على بينة من أمرهم"[(1)].

ثانياً: الدعاة هم خير الناس:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (**خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلامِ**)[(2)].

وحديث درة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت: (قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله أيّ الناس خير؟ فقال ﷺ: (**خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ**)[(3)].

ثالثاً: الدعاة هم الشهداء على الناس:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣].

الوسطية: تعني العدالة والخيرية، فقد جعل الله أمة محمد ﷺ وسطاً لتشهد على الأمم يوم القيامة، والجميع معترفون لهذه الأمة بالفضل، عن أبي سعيد الخدري رضي

---

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠] ٢٠١/٥ رقم ٤٥٥٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٣٢/٦ رقم ٢٧٤٧٤ وقال الأرنؤوط إسناده ضعيف ٤٢١/٤٥ وللاستزادة انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٢٠/١ وما بعدها.

الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يدعى نوح عليه الصلاة والسلام يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، أو ما أتانا من أحد. قال: فيقال: لنوح من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته؟ قال: فذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣].

رابعاً: الدعاة هم المفلحون في الدنيا والآخرة:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[آل عمران: ١٠٤].

فالفلاح مختص بمن قام بواجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[(١)].

وهذه الأمة المحمدية الداعية إلى الخير هي مفلحة في الدنيا؛ لكونها نفذّت منهج الله في الدعوة والجهاد والعمل في سبيل الإسلام، ومفلحة في الآخرة؛ لكونها بلّغت في الدنيا الرسالة، وأدّت الأمانة ونصحت الأمة[(٢)].

خامساً: الدعاة أحسن الناس حديثاً:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣].

قال القرطبي: أي كلام أحسن من القرآن، ومن أحسن قولاً من الداعي إلى الله وطاعته.

وقال ابن سيرين: هو رسول الله محمد ﷺ.

---

(١) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ١/٤٥٠/١ ٣٦٩/١.

(٢) فضل الدعوة والداعية، عبدالله ناصح علوان ٥٨-٥٩.

وكان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا وليّ الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحبّ أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله[1].

وقال السعدي: أي لا أحد أحسن قولاً؛ أي كلاماً وطريقة وحالاً ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها وتحسينها مهما أمكن، والزجر عمّا نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه[2].

سادساً: الدعاة يستغفر لهم أهل السماء والأرض:

لما رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ)**[3].

سابعاً: الدعاة لا تنقطع أجورهم:

لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)**[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٥/ ٣٦٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي تحقيق: عبدالرحمن اللويحق ٧٤٩.

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب: العلم، باب: في فضل الفقه على العبادة، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٢/٣٤٣ رقم ٢٨٣٨.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: العلم، باب: من سنّ سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٤/٢٠٦٠ رقم ٢٦٧٤.

ولما رواه أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)(١).

ثامناً: الدعاة في هديهم خيرٌ لهم من الدنيا وما فيها:

لما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: (لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ فَقَالَ أَيْنَ عَلِيٌّ فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ فَقَالَ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)(٢).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته أهله بخير ١٥٠٦/٣ رقم ١٨٩٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٤٦/٤ - ٢٤ رقم ٣٧٠١، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٨٧٢/٤ رقم ٢٤٠٦، وللاستزادة انظر: فضل الدعوة والداعية، عبدالله ناصح علوان ٥٣-٦٨.

المبحث الخامس

أهمية الدعوة إلى الله والحاجة إليها

الناس بحاجة ماسة إلى الدعوة الإسلامية لينتظم مسار حياتهم الدينية والدنيوية ؛ لأن الإنسان خلق، ويعتريه جوانب نقص كثيرة، فلا يستطيع بمداركه الشخصية القدرة على معرفة ما يصلح له في جانب المعتقد مع قضايا الغيب، أو في جانب الممارسة والسلوك.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء، وحاجتهم إلى الشريعة أعظم من حاجتهم إلى التنفس، فضلاً عن الطعام والشراب ؛ لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن، وأما يقدّر عند عدم الشريعة فساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبد، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ من القيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه ؛ وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة[1].

فالإنسان الذي تحفه الشهوات، وتكتنفه متطلبات الغرائز، وتجتاحه الأهواء، أشبه ما يكون بالمريض، فلا سبيل له للخلاص من المرض والسقم، والفوز بالبرء والعافية إلا بالطبيب، فإن لم يأتمر بأمر الطبيب فيعرف عما تميل إليه نفسه من مغريات، وتهواه من متع ولذات ألقى بنفسه إلى التهلكة، فحاجة العبد إلى الرسول والرسالة أمسّ من حاجته إلى الطبيب والدواء، فإنّ أعظم ما يصيب المرء بالإعراض عن الطبيب وتعاطي الدواء موت الأبدان، أمّا إذا لم يتلقف العبد نور الرسالة ويقتبس منه نعيم فؤاده، وحياة قلبه تعاورته الأسقام والآفات التي لا برء منها، ومات قلبه موتاً لا ترجى معه حياة، ونضبت فيه ينابيع السعادة، وغشيته أمواج متلاطمة غامرة من التعاسة الدائمة والشقاء الأبدي[2].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ٢/٢.

(٢) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عتر ٣٨.

وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ليس من الخافي على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلام اليوم، بل العالم كله في أشدّ الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الواضحة الجليّة التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه[1].

وتبرز هذه الحاجة من خلال ما يلي:

أولاً: الناس في حاجة إلى من يبيّن لهم ما أمر الله به ليقيم الحجة عليهم وهذه من مهام الرسل عليهم الصلاة والسلام، إذ لا عقوبة دون نذارة، قال الله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾[يس: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾[الإسراء: ١٥]، فكان لابدّ من دعوة الناس ليحيى من حيي عن بيّنة ويهلك من هلك عن بيّنة[2].

وينبغي على الدعاة إلى الله بذل كل ما يستطيعون من جهد لاستمالة الآخرين، وجذبهم إلى نداء الله، وقد حكى القرآن الكريم ردّ كثير من الذين طلب إليهم أن يعرضوا الدعوة على أناس قد تحقّق من مواقفهم الماضية أنهم لا يؤمنون أبداً، إنه يلقي ضوءاً ساطعاً على نوعية مسؤولية الداعية، ويحدّد موقفه تحديداً واضحاً، ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٦٤﴾[الأعراف: ١٦٤].

ثانياً: الرغبة في قطع الطريق على أهل الشرّ والمعاصي، فإنّ دنيانا التي نعيش فيها، يوجد فيها كثير من نوازع الشرّ، والمطامع والأهواء الكثيرة، وأصحاب هذه النوازع يودّون أن يشيع كل ذلك في المجتمع ليكون الجميع سواء، فهم يدعون إلى فسادهم،

(١) من أقوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في الدعوة، جمع: زياد السعدون ٢٢.

(٢) الدعوة "قواعد وأصول"، جمعة أمين عبدالعزيز ٢٢.

ويحبون أن تشيع الفاحشة في مجتمعاتهم من باب ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً...﴾[النساء: ٨٩]، ولذلك فهم يتعاونون فيما بينهم، ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾[التوبة: ٦٧]، فكان لابد من تعاون الأخيار وأهل الإيمان على الخير لينتشر الخير وتعم الفضيلة، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

ثالثاً: لأنَّ العقل مهما اتسعت آفاقه، وامتدت مداركه، فإنه لا يستطيع إدراك المغيّبات ومعرفتها على الوجه الصحيح، فالعقول لا تهتدي إلى معرفة كل ما ينفع الإنسان في حياته، ليأخذ به، ولا إلى معرفة كل ما يضرّه في حياته ليتجنبه، وينجو مما يضره إلا في الشرع الإلهي.

فالعقول لا تعدو كونها آلة إدراك كحاسة العين التي هي آلة الإبصار، والعين قطعاً لا تبصر -مهما كانت سليمة وقوية- إلا في الضوء والنور، ولا يمكنها أن ترى وتبصر في الظلام أبداً، وفي أي حال من الأحوال[1].

ولأن الإنسان مركب من عقل وشهوة، وعقله قاصر عن إدراك كثير من الحقائق، وشهوته غامرة تساعده في كثير من الأحيان على تجاوز الحق، وتطويع العقل إلى ما تميل إليه، وما تهواه وتشتهيه، قال تعالى: ﴿۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[يوسف: ٥٣].

والعقل قد يقصر في كثير من شؤونه عن التمييز بين حسن الأفعال وقبيحها، ونافعها وضارّها، فلابدّ له من معين يساعده على إدراك ما قصر عنه إدراكه، وقد يعجز

---

(١) انظر: صفات الداعية، للمؤلف ٢٢ وما بعدها.

كلياً عن العلم بما يجب عليه علمه؛ لأنه ليس في محيط عقله، ولا دائرة فكره، مع ما في علمه به من صلاحه وسعادته، وذلك كمعرفته بالله واليوم الآخر، والملائكة تفصيلاً، فكان في ضرورة إلى من يهديه الطريق إلى أصول دينه، وقد يتردّد في أمر، إما لعارض هوى وشهوة، أو لتزاحم الدواعي واختلافها، فيحتاج إلى من ينقذه من الحيرة، ويكشف له عن حجاب الضلالة بنور الهدى، فبان بذلك حاجة العالم إلى رسول يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويكلمهم بمعرفة ما قصرت عنه أفهامهم، ويوقفهم على حقيقة ما عجزوا عنه، ويدفع عنهم آلام الحيرة ومضرة الشكوك[1].

(١) الحكمة من إرسال الرسل، عبدالرزاق عفيفي ٥٨.

الفصل الثاني

منهج الدعوة وضوابطه

المبحث الأول: الاعتماد على الكتاب والسنة

المبحث الثاني: التمسك بمعتقد السلف الصالح واقتفاء أثرهم، في الدعوة إلى الله

المبحث الثالث: ربط الولاء والبراء بميزان الشرع

المبحث الرابع: قيام الدعوة على العلم الشرعي

المبحث الخامس: مراعاة حال المدعويين

المبحث السادس: الموازنة الشرعية بين المصالح والمفاسد

المبحث السابع: تجنب المراء والحذر من تجاري الأهواء

المبحث الأول

الاعتماد على الكتاب والسنة

إنّ المنهج الصحيح للدعوة هو الذي يعتمد على توجيه القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة و يلتزم بهما، ويجعلهما أصلية ولا يحيد عنهما البتّة، كما أنه يعتمد في تفسير النصوص الشرعية من القرآن والسنة على فهم السلف الصالح من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، لأنهم الذين رضي الله عنهم، وعاصروا التنزيل، وشرفوا بالصحبة، وكذلك على فهم تابعيهم لأنَّ الله سبحانه فضلهم بعد سلفهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، عن عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (خَيْرُ النَّاس قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثم الذين يلونهم....)[1].

وقد وردت نصوص شرعية كثيرة تؤكد أهمية أن يكون الاعتماد الأساس قائم على الكتاب والسنة، ومنها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[النجم: ٣-٤].

وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾[السجدة: ٢].

وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾[فصلت: ٢-٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ..﴾[النساء: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ..﴾[النساء: ٨٠].

قال الإمام الآجري رحمه الله: ومن النصوص الشرعية التي تبين أهمية الاعتماد على الكتاب والسنة ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادات جور إذا أشهد ٢٠٣/٣ رقم ٢٦٥١، وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ١٩٦٤/٤ رقم ٢٥٣٥.

يقول في خطبته بعد التشهد: (إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)[(١)].

وعن عبدالرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا: أتينا العرباض بن سارية رضي الله عنه، وهو ممن نزل فيه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾[التوبة: ٩٢]، فسلّمنا وقلنا: أتيناك زائرين، وعائدين، ومقتبسين، فقال العرباض بن سارية رضي الله عنه: صلّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، وذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنّ هذه موعظة مودّع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ)[(٢)].

وعن أبي رافع رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لا أَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ)[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١١٩/٣ رقم ١٤٤٧١، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح٢٢/٣٢٠.
وللاستزادة انظر: الشريعة، الآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي ٤٥ وما بعدها.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند واللفظ له ١٢٦/٤-١٢٧ رقم ١٧١٨٥، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح ٣٦٧/٢٨، وأخرجه أبوداود في كتاب: السنّة، باب: في لزوم السنّة، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٨٧١/٣ رقم ٤٦٠٧، وأخرجه الترمذي في أبواب: العلم، باب: الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٣٤١/٢-٣٤٢ رقم ٢٨٢٨، وأخرجه ابن ماجة في: المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ١٣/١ رقم ٤٢.

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب: العلم، باب: ما نهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله ﷺ، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٣٣٩/٢ رقم ٢٨١٣، وأخرجه أبوداود في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٨٧١/٣ رقم ٤٦٠٥، وأخرجه ابن ماجة في: المقدمة، باب: تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ٧/١ رقم ١٣.

وعن المقدام بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَلا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلالا اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ)[1].

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: (سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله عز وجل، وقوة على دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها، ولاتبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاّه الله تعالى ما تولاّه، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً)[2].

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب العلم، باب: ما نهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله ﷺ، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٣٣٩/٢ رقم ٢٨١٤، وأخرجه أبوداود في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٨٧٠/٣ رقم ٤٦٠٤، وأخرجه ابن ماجة في: المقدمة، باب: تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ٧/١ رقم ١٢.

(٢) الشريعة، الآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي ٤٨.

المبحث الثاني

التمسك بمعتقد السلف الصالح، واقتفاء أثرهم في الدعوة إلى الله

٢- التمسك بمعتقد السلف واقتفاء أثرهم في الدعوة إلى الله:

السلف الصالح هم أهل السنة والجماعة، ويطلق عليهم أهل الأثر، وأهل الحديث، وهم: "المتمسّكون بسنة رسول الله ﷺ، الذين اجتمعوا على ذلك، وهم الصحابة والتابعون، وأئمة الهدى، المتبعون لهم، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول، والعمل إلى يوم الدين، الذين استقاموا على الاتباع، وجانبوا الابتداع في أي مكان وأي زمان، وهم باقون ظاهرون إلى يوم القيامة"[(١)].

وأصول العقيدة الإسلامية هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

وهذه الأصول دلت عليها نصوص الكتاب والسنة وأجمعت عليها الأمة.

قال تعالى: ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ..﴾[البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر: ٤٩][(٢)].

إنّ من ضوابط المنهج الدعوي الصحيح: الدعوة إلى التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ونبذ ما يضارّها، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يتعداه إلى الدعوة إلى هذه العقيدة الصحيحة؛ لأنّها خاتمة دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فلم يكونوا يبدأون بشيء قبلها كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ..﴾[النحل: ٣٦]. وكل رسول يقول لقومه أول ما يدعوهم:

---

(١) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل ١٣ وما بعدها.

(٢) للاستزادة انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، معالي أ.د. صالح بن فوزان الفوزان ٢٧ وما بعدها.

﴿أَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ..﴾[هود: ٥٠]. كما قالها نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وقد كان نبينا محمد ﷺ عندما يبعث الدعاة يوصيهم بالبداءة بالدعوة إلى تصحيح العقيدة، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أن معاذاً رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن وقال: (إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)[١].

فمن هذا الحديث الشريف، ومن استقراء دعوة الرسل في القرآن، ومن استقراء سيرة الرسول ﷺ، يؤخذ منهج الدعوة إلى الله، وأنّ أوّل ما يدعى الناس إليه هو العقيدة المتمثلة بعبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه كما هو معنى لا إله إلا الله.

وقد مكث النبي ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً بعد البعثة يدعو الناس إلى تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام قبل أن يأمر الناس بالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد، وترك المحرمات من الربا والزنا، والخمر والميسر[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة باب: وجوب الزكاة ٢/١٣٣ رقم ١٣٩٥. وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/٥٠ رقم ١٩.

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، معالي أ.د. صالح بن فوزان الفوزان ١٩ وما بعدها، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، أ. د. ناصر بن عبدالكريم العقل ٤ وما بعدها، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ١٢٤ وما بعدها.

وإنّ مما يؤكد أهمية التمسك بما عليه السلف الصالح في جانب المعتقد والعمل و اقتفاء أثرهم في الدعوة أنّهم يعضون بالنواجذ على السنة ويبتعدون عن البدعة بكل صورها وأشكالها، لأن النبي ﷺ ترك أمته وقد بلغ الرسالة وأكمل الله به الديانة، وأتم به النعمة، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

وقال ﷺ: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلا هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ)(١).

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: (فإنه لا صلاح للعباد، ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة، ولا سعادة في الدارين، ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بمعرفة أول مفروض عليهم، والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله عز وجل له، وأخذ عليهم الميثاق به، وأرسل به رسله إليهم، وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة، وفي شأنه تنصب الموازين، وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور، وذلك الأمر هو معرفة الله عز وجل بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك، ومعرفة ما يناقضه أو بعضه من الشرك والتعطيل، والتشبيه والتشبّه واجتناب ذلك، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وتوحيد الطريق إلى الله عز وجل بمتابعة كتابه ورسوله والعمل على وفق ما شرعه الله عز وجل ورسله ﷺ، ومعرفة ما يناقضها من

(١) أخرجه ابن ماجة في: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ١/١٣-١٤ رقم ٤٣.

البدع المضلّة، ويميل بالعبد عنها فيجانبها كل المجانبة ويعوذ بالله منها، فإنّ الله عز وجل أنزل كتابه تبياناً لكل شيء وتفصيل كل شيء...الخ[١].

وعلى هذا، فإنه تقرّر أنّ الذي بعث به محمد ﷺ هو الدين الحق الذي يجب اتباعه والانصياع لأوامره، والاستجابة لنداءاته، والرضا والتسليم بكل أحكامه، لأنّه الحق الذي في الأخذ به تكون السعادة الأبدية للبشرية، وقد بيّن نبينا محمد ﷺ أنّ مهمته تكمن في النذارة، الواجبة الاتباع، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ**)[٢].

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ بن أحمد الحكمي ١٣/١ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ١٧٨/٨ رقم ٧٢٨٣.

المبحث الثالث

ربط الولاء والبراء بميزان الشرع

الولاية ضدّ العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد. وإذا كان وليّ الله هو: الموافق المتابع له فيما يحبّه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معادياً له[1].

من أصول العقيدة الإسلامية: محبة أهل التوحيد والإخلاص وموالاتهم، وبغض أهل الشرك ومعاداتهم، وذلك من ملة إبراهيم عليه السلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ...﴾[الممتحنة: ٤].

فكما أنه لا تجوز موالاة الكافرين فإنه لا تجوز مولاة اليهود والنصارى، كما قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾[المائدة: ٥١].

كما أنه من الواجب موالاة المؤمنين وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾[الحشر: ١٠]، وكما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ...﴾[التوبة: ٧١][2].

وينقسم الناس في الولاء والبراء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يُحَبُّ محبة خالصة لا معاداة معها، وهم: المؤمنون الخلّص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام ابن تيمية، تصحيح وتعليق: محمود عبدالوهاب فايد ٢٩ وما بعدها.

(٢) للاستزادة انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، محمد ناصر الدين الألباني ٣٥٧ وما بعدها، الولاء والبراء في الإسلام معالي أ.د. صالح بن فوزان الفوزان ٣ وما بعدها.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحشر: ١٠].

القسم الثاني: من يُبْغَضُ ويُعَادَى بغضاً ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما، وهم: الكفار الخلَّص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ...﴾[المجادلة: ٢٢].

القسم الثالث: من يُحَبُّ من وجه ويُبْغَضُ من وجه، فيجتمع فيه المحبة والعداوة، وهم عصاة المؤمنين، يحبّون لما فيهم من الإيمان، ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك.

ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم، فلا يجوز السكوت على معاصيهم، بل ينكر عليهم، ويؤمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وإذا عرف أنَّ الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فيجب أن يفرِّق بين هؤلاء وهؤلاء، كما فرق الله تعالى ورسوله ﷺ بينهما، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[يونس: ٦٢-٦٣][(٢)].

---

(١) المرجع السابق ٢٧ وما بعدها، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، معالي أ.د. صالح بن فوزان الفوزان ٣٥٩ وما بعدها.

(٢) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام ابن تيمية، تصحيح وتعليق: محمود عبدالوهاب الفايدي ٢٨.

فلكل مسلم من الولاية بقدر ما لديه من الإيمان والتقوى والاتباع للرسول ﷺ، كما أنّ له من البراءة بقدر ما فيه من فسق ومعصية[(١)].

وعلى هذا فإن ذات جنس الإنسان واحدة ولا تختار إلا بما تكنُّه من سلامة المعتقد وحسن التصور والإيمان، وموافقة العمل للهدي النبوي، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[الحجرات: ١٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾[النساء: ١].

فبكسب هذا الإنسان وسلوكه الاعتقادي والقولي والعملي تتحدد معه الولاية أو العداوة، وإنّ العداوة لا تمنع من تقديم الدعوة له؛ لأن البغض الواقع يكون على الكفر أو الشرك أو المعصية أو المنكر لا على ذات الإنسان، وإنّ الإسلام يَجُبُّ الكفر، وإنّ التوبة تَجُبُّ ما قبلها من الشرك والمعاصي، وإنّ الداعية الحصين هو الذي ينظر إلى أحوال غير المهتدين نظرة الرحمة والشفقة التي تدعوه إلى الإحسان إليهم ومحاولة جذبهم إلى سبيل الهداية والاستقامة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدير راهب، قال: فناداه يا راهب، فأشرف، قال: فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله عز وجل في كتابه: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾[الغاشية: ٣-٤] فذاك الذين أبكاني[(٢)].

---

(١) انظر مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل ٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٥٣٢.

المبحث الرابع

قيام الدعوة على العلم الشرعي

لقد كان من أهم مهمات نبينا محمد ﷺ وأوجب واجباته الشرعية قيامه بدعوة الآخرين إلى الله عز وجل، ولكن هذه الدعوة التي كان يقدّمها للآخرين كانت مبنية على بصيرة ووضوح كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الإمام الطبري رحمه الله: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها، من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته ﴿سَبِيلِىٓ﴾ وطريقتي ودعوتي، أدعو إلى الله وحده لا شريك له ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلك ويقين علم منِّي به أنا، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً من اتبعني وصدقني وآمن بي[(١)].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي على يقين وحق[(٢)].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين: الإنس والجن، آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله، أي: طريقته ومسلكه وسنته، وهي: الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي[(٣)].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: على حجة واضحة، والبصيرة: هي المعرفة التي يتميّز بها الحق من الباطل[(٤)].

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري ٣١٤/٧ وما بعدها.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٧٤/٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٤٣/٢ ما بعدها.

(٤) فتح القدير، الشوكاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٦١/٣.

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله: دلّ قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ على مزية هذا الدين الحنيف ونهجه الذي انفرد به، وهو أنّه لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته، ولكنّه ادعى وبرهن، وحكى مذاهب المخالفين، وكرَّ عليهم بالحجة، وخاطب العقل، واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام والإتقان على أنظار العقول، وطالبها بالإمعان فيها لتصل إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه، كما دلت الآية: على أنّ سيرة أتباعه ﷺ الدعوة إلى الله تعالى، ولا يخفى أنَّ الدعوة إلى الله إنّما هي بنشر مطالب الدين، وإذاعة آدابه وتعليمه[(١)].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أحثّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغبهم في ذلك، وأرهبهم بما يبعدهم عنه، ومع هذا فأنا من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية ﴿و﴾ كذلك ﴿من اتبعني﴾ يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره[(٢)].

إنَّ الدعوة التي تقدَّم للآخرين ولا تقوم على علم شرعي لربّما صادفها وامتزج معها ملحوظات كثيرات، وجوانب نقص متعددات.

وحينما أوجب الله سبحانه الدعوة على الأمة، حثّ على تأهيل طائفة بالعلم الشرعي النافع؛ لتقوم بواجب النذارة والبلاغ بطريقة سليمة مقبولة.

قال الله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "ندب الله تعالى المؤمنين إلى التفقه في الدين، وهو تعلّمه، وإنذار قومهم إذا رجعوا إليهم، وهو التعليم. وقد اختلف في الآية، فقيل:

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ٩/٢٩٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق ٤٠٦.

المعنى أنّ المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعلّم، بل ينبغي أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة تتفقه تلك الطائفة، ثم ترجع تعلّم القاعدين، فيكون النفير على هذا نفير تعلّم، وقالت طائفة أخرى: المعنى وما كان المؤمنين لينفروا إلى الجهاد كلهم، بل ينبغي أن تنفر طائفة للجهاد، وفرقة تقعد تتفقّه في الدين، فإذا جاءت الطائفة التي نفرت فقهتها القاعدة، وعلّمتها ما أُنزل من الدين والحلال والحرام، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا﴾ للفرقة التي نفرت منها طائفة، وهذا هو قول الأكثرين، وعلى هذا فالنفير نفير جهاد على أصله، فإنه حيث استعمل إنما يُفهم منه الجهاد، وعلى القولين فهو الترغيب في التفقه في الدين، وتعلّمه وتعليمه، فإنّ ذلك يعدل الجهاد، بل ربما يكون أفضل منه"[(١)].

وقد تضافرت النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على فضل العلم ومكانته وأهميته وحاجة الأمة إليه، ومكانة العلماء ومزيّتهم على غيرهم[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لا يكون عمل الإنسان صالحاً إلا إذا كان بعلم"[(٣)].

وقال النووي رحمه الله: "ثم إنّه يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة، كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها، فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم ٥٦/١.

(٢) انظر: صفات الداعية، للمؤلف ٣٧ وما بعدها، أدب الدنيا والدين، الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٤١ وما بعدها.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد ٢٨.

الأفعال والأقوال ومما يتعلّق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء"[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: وإذا كانت الدعوة أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به، وإليه، بل لابدّ في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حدٍّ يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أنّ صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء[2].

---

(١) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ٢/٢٣.

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ١/١٥٤.

المبحث السادس

~~الموازنة الشرعية بين المصالح والمفاسد~~

مراعاة حال المدعوين .

إنّ من حكمة الله عز وجل في إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام أن جعلهم من جنس من أرسلوا إليهم، فإنّ الرسالة موجهة أصلاً للبشر، وعليهم جاء التكليف بحمل الأمانة وتحمّل المسؤولية، بل كان من حكمة الخالق جل جلاله أنّه يرسل كل رسول باللغة التي يتحدث بها قومه ليبين الخطاب، ويفهم الموضوع الذي يدعى إليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤﴾[إبراهيم: ٤]، وكما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾[الجمعة: ٢].

وكشف القرآن الكريم عن هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ۝٩﴾[الأنعام: ٨-٩] وبقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٤ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ۝٩٥﴾[الإسراء: ٩٤-٩٥].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلام فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ يَعْنِي نَفْسَهُ وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلام فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحْيَةُ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ دَحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ)[1].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ١٥٣/١ رقم ١٦٧، وأخرجه الترمذي في أبواب: المناقب، باب: ما جاء في خاتم النبوة، صحيح سنن الترمذي، الألباني ١٩٧/٣ رقم ٣٩١١.

ولم يكن يأت جبريل عليه السلام في صورته الطبيعية التي خلقه الله عليها إلا نادراً، حتى لا يذهل الناس منه، وقد ثبت أن النبي ﷺ لم يره على صورته الحقيقية إلا مرتين[1].

لقد كان منطق كل نبي لقومه أنه واحدٌ منهم، وأنه لا يعدو أن يكون بشراً رسولاً مراعاة لحالهم ليقبلوا دعوتهم، كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ...﴾[إبراهيم: ١١].

وقد علّم ربنا سبحانه نبينا محمداً ﷺ أن يقول لمشركي قريش حينما طلبوا منه ما ليس بمقدور للبشر: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[الإسراء: ٩٣].

وكان منطق نبي الرحمة الخاتم محمد ﷺ ما جاء في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠].

وقد جاءت التشريعات الإلهية مراعية أحوال المدعوين ليستوعبوا قبول هذا الدين الجديد، ويقبلوا عليه بصدق وتطبيق، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (**إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلامِ نَزَلَ الْحَلالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لا تَزْنُوا لَقَالُوا لا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا**)[2].

---

(١) انظر: صحيح الإمام مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] وهل رأى النبي ﷺ ربّه ليلة الإسراء ١/١٥٩ رقم ١٧٧، وللاستزادة انظر: أساليب الدعوة الإسلامية للمؤلف ٦١٥ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن ٦/١٢٢-١٢٣ رقم ٤٩٩٣.

ومن الأمور التي يحسن العناية بها في مجال مراعاة المدعويين: المخاطبة على قدر الفهم، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)[1].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (مَا أَنْتَ مُحَدِّثًا قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولهمْ إِلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَة)[2].

وفي باب مراعاة حال المدعوّين وبالأخص نفسية المخاطب يبرز الشيخ أمين أحسن إصلاحي عشرة مبادئ يحسن الأخذ بها ومراعاتها وهي:

١ - إنّ لشيء واحد جوانب عديدة، يكون في بعضها سهلاً سائغاً، وفي بعضها صعباً مرّاً، فلو عرضته من جانب لربما قبل، بينما لو تم عرضه من جانب آخر لم يقبل.

٢- تجنب إثارة الحمية الجاهلية في نفسية المخاطب؛ لأن التعرض للمعتقدات الباطلة لدى المخاطب قد يؤدي إلى نتائج وخيمة، ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ...﴾[الأنعام: ١٠٨].

٣- تفخيم الخطاب لذوي الهيئات والمكانة الخاصة في المجتمع، وإلانة القول لهم كما قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[طه: ٤٣-٤٤].

٤ - مراعاة استعداد المدعو نفسياً للتلقي، ورغبته في القبول، ومقدار أهليته للإساغة والفهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ٤٦/١ رقم الباب ٥٠.

(٢) أخرجه مسلم في: المقدمة، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع ١١/١ رقم ٥.

٥- إيقاف عرض الدعوة إذا رأى الداعية المدعو يميل إلى الاعتراض والانتقاد فحسب، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

٦- تجنب عرض الدعوة حال انشغال المدعو وانصرافه عن الداعي والدعوة.

٧- اجتهاد الداعية في أن لا يسبب ملل المخاطب وسآمته من أجل التكرار المسرف، أو الإطالة التي لا حاجة إليها.

٨- استعداد الداعية وأن يكون على أهبة تامة لبذر الدعوة كلّما واتته فرصة مناسبة.

٩- مراعاة طبيعة المدعو وبيئته وديانته، ونوع الخلل الذي لديه، واختيار الأسلوب المناسب لذلك.

١٠- إذا شعر الداعي من المخاطب اللجاجة والتمادي في الباطل، فعلى الداعي أن يتفادى بكل حيلة ممكنة استمرار المخاطب على باطله وتماديه فيه، وأن يسعى جهده أن يعرض عليه الحق بأسلوب لبق يسدّ عليه منافذ التمادي، ويفتح له أبواب الخير، وآفاق السعادة والرشاد[١].

(١) انظر: منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، ونور عالم الندوي ٨٧ وما بعدها.

المبحث السادس

الموازنة الشرعية بين المصالح والمفاسد

إنّ من أهم ما ينبغي أن يعنى به الدعاة إلى الله تقدير المصلحة المترتبة على الأمر أو النهي، وتقدير المفسدة المترتبة على الأمر والنهي؛ فإنّ مبنى الشريعة قائمٌ على تحقيق المصالح وتعطيل المفاسد.

قال ابن القيم رحمه الله: وقد شرع الله سبحانه لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله، فإنّه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله.

فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول المنكر ويخلفه ضدّه من المعروف.

الثانية: أن يقلّ المنكر وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلف المنكر ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلف المنكر ما هو شرّ منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرّمة[1].

فإن المحتسب الذي يراعي هذه الدرجات هو الذي يقرب من رضى الله سبحانه، ويحقق مقتضى نصوص الشريعة، فإنّ الأمة المسلمة بحاجة إلى من يفقه حقيقة الأمر بالمعروف، متى يكون ويؤمر به، ويفقه حقيقة المنكر ومتى ينهى عنه، فإنّ المصالح والمفاسد المترتبة على الفعل والترك تؤثر تأثيراً كبيراً وبالغاً.

فما الحكم الشرعي في إجراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا رجحت المصلحة على المفسدة؟ أو رجحت المفسدة على المصلحة؟ أو تساوت المفسدة مع المصلحة؟ أو تكاثرت المفاسد؟

---

(١) انظر: إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، ابن القيم، راجعه وقدّم له وعلّق عليه: طه عبدالرؤوف سعد ٤/٣.

إنّ الحكم الشرعي متعلّق برجحان أي الطرفين أو تماثلهما، فهو يدور مع ذلك وجوداً وعدماً.

أ- إذا رجحت المصلحة على المفسدة:

تشرع الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا رجحت مصلحة الاحتساب على مفسدته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات، أو المستحبات، لابدّ أن تكون المصلحةُ فيها راجحة على المفسدة، إذْ بهذا بُعثت الرسل عليهم الصلاة والسلام، ونزلت الكتب، والله لا يحبّ الفساد، بل كلّ ما أمر الله به هو صلاح، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين، والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذمّ الفساد والمفسدين في غير موضع"[1].

وقال أيضاً رحمه الله: "وإذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات، أو تزاحمت، فإنّه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد"[2].

ب- إذا رجحت المفسدة على المصلحة:

يحرم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا رجحت المفسدة على المصلحة؛ فإن درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإنّ الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة، ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت

(١) الأمر بالمعروف والنهي المنكر، ابن تيمية، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد ١٧.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم ١٢٩/٢٨، الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ.د. محمد رشاد سالم ٢١٦/٢.

مفسدته أكثر من مصلحته، لكنّ اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالتها على الأحكام"[(١)].

وقال أيضاً رحمه الله: "وإذا ترتّبْ على أمر المحتسب بطاعة فعلاً لمعصية أكبر منها، فيترك الأمر بها دفعاً لوقوع تلك المعصية".

فالعالم في البيان والبلاغ، قد يؤخر البيان والبلاغ لأشياء إلى وقت التمكن، كما أخّر الله سبحانه إنزال آيات، وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله ﷺ من بيانها"[(٢)].

ج- إذا تساوت المفسدة مع المصلحة:

يمنع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا تساوت المفسدة مع المصلحة؛ لأن القصد من تشريع الأحكام دفع المفاسد عن الناس، وجلب المصالح لهم"[(٣)].

وإذا تعارضت المفاسد مع المصالح فإن دفع المفسدة يقدّم على جلب المصلحة، لأنّ الشريعة اعتنت بالمنهيّات أكثر من اعتنائها بالمأمورات، قال ﷺ: (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ)[(٤)].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم ١٢٩/٢٨، الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم ٢١٦/٢-٢١٧.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم ٥٨/٢٠-٥٩.

(٣) انظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان ٨٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ١٨٠/٨ رقم ٧٢٨٨، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك كثرة سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف ١٨٣٠/٤ رقم ١٣٣٧، وللاستزادة انظر: شرح القواعد الفقهية، أحمد بن محمد الزرقا ٢٠٥، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان ٨٤-٨٥.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما، فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح أمرٌ ولا نهي حيث كان المعروف والمنكر متلازمين[1].

د- إذا تكاثرت المفاسد:

إذا تكاثرت المفاسد عند إجراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يخلو الحال من أمرين:

الأمر الأول: لابدّ من الوقوع في أحدها لا محالة:

فالحكم هنا يجري على ارتكاب أخفّها ضرراً دفعاً لأشدّها ضرراً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكذلك إذا اجتمع محرّمان لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما، لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرماً في الحقيقة، وإن سمّي ذلك ترك واجب، وسمّي هذا فعل محرم باعتبار الإطلاق لم يضرّ، ويقال في مثل هذا ترك الواجب لعذر، وفعل المحرم للمصلحة الراجحة، أو للضرورة، أو لدفع ما هو أحرم"[2].

وتجري هذه المسألة على القواعد الآتية:

- الضرر الأشدّ يزال بالضرر الأخفّ.

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد ٢١-٢٢، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم ١٣٠/٢٨، الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم ٢١٨/٢.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم ٥٧/٢٠.

- إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما.

- يختار أهون الشرّين[(١)].

الأمر الثاني: يمكن تلافي الوقوع في أحدها:

فالحكم هنا يجري وفق القواعد الفقهية الآتية:

- الضرر يزال.

- الضرر لا يزال بمثله.

- الضرر يدفع بقدر الإمكان[(٢)].

ويؤيد ما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قضى أن: (لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ)[(٣)] وما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ)[(٤)].

ويحسن بالمحتسب أن يعرف أنَّ الشريعة الإسلامية جاءت بسدّ الذرائع المفضية إلى الحرام، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٠٤].

---

(١) انظر: شرح القواعد الفقهية، أحمد بن محمد الزرقا ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣.

(٢) انظر: المرجع السابق ١٧٩، ١٩٥، ٢٠٧.

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب: الأحكام، باب: من بنى في حقّه ما يضرّ بجاره، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ٢/٣٩ رقم ٢٣٤٠.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٣١٣ رقم ٢٨٦٧، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الأحكام، باب: من بنى في حقّه ما يضرّ بجاره، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ٢/٣٩١ رقم ٢٣٤١.

فقد جاء النهي للمؤمنين من استعمال كلمة (راعنا)؛ لأنّ اليهود كانوا يريدون بها شتم الرسول الكريم ﷺ ولا يريدون معناها اللغوي المعروف، فجاء النهي القرآني سداً للذريعة، وأخبر النبي الكريم ﷺ أن (**مِنْ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ**)[1].

ولّما جاءت صفية –رضي الله عنها- تزوره ﷺ وهو معتكف، قام معها ليوصلها إلى بيتها، فرآهما رجلان من الأنصار، فقال ﷺ: (**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا أَوْ قَالَ شَيْئًا**)[2].

فسدّ النبي الكريم ﷺ الذريعة إلى ظنهما السوء بإعلامهما أنها زوجته صفيّة –رضي الله عنها-[3].

وعلى هذا فإن أهم ضوابط الدعوة في منهجها السوي سدّ الذرائع، والموازنة فيما بين المصالح والمفاسد.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: لا يسبُّ الرجل والديه ٩٢/٧ رقم ٥٩٧٣، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها ٩٢/١ رقم ٩٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ١١١/٤ رقم ٣٢٨١، وأخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: بيان أنّه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة، وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول: هذه فلانة ١٧١٢/٤ رقم ٢١٧٥.

(٣) للاستزادة انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ٣٦١/١ وما بعدها، حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته، للمؤلف ٩٤ وما بعدها.

المبحث السابع

تجنّب المراء، والحذر من تجاري الأهواء

ومن أهم ضوابط المنهج الدعوي الصحيح قيامه على: تجنب المراء، والحذر من تجاري الأهواء، فقد جاءت نصوص شرعية كثيرة تحذّر من المراء وأنه لا يوصل صاحبه إلى خير، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾**[الزخرف: ٥٨][1].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)**[2].

وقال مسلم بن يسار رحمه الله: "إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلّته".

وقال أبو قلابة رحمه الله: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبّسوا عليكم في الدين بعض ما لُبّس عليهم"، وقال معاوية بن قرّة رحمه الله: "الخصومات في الدين تحبط الأعمال"، وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: "من جعل دينه غَرَضاً للخصومات، أكثر التنقّل"، وقال هشام بن حسان رحمه: "جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله فقال: يا أبا سعيد تعال حتى أخاصمك في الدين، فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنتَ أضللت دينك فالتمسه".

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في: المقدمة، باب: اجتناب البدع والجدل، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ١٤/١ رقم ٤٨.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٩١١/٣ رقم ٤٨٠٠.

ودخل رجلان من أهل الأهواء على محمد بن سيرين –رحمه الله- فقالا: "يا أبابكر نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل؟ قال: لا، لتقومنّ عني أو لأقوم"

وقال الأوزاعي رحمه الله: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول".

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: "سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده رضي الله عنهم سنناً، الأخذُ بها اتباع لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله عز وجل، وقوة على دين الله تبارك وتعالى، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله تعالى ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا"[(١)].

إنّ ولوغ الدعاة في المراء ومجاراتهم للأهواء سيقلب الدعوة النقية الصافية التي يحملوها إلى دعوة منتنة متكدّرة، لا تمثّل منهجاً سليماً، وربّما أحدثت آفة في المجتمع لا يعلم مداه إلا الله تعالى، ولربما لم تظهر آفاته عاجلاً، ولكن هذا الداء سينخر في جسد الدعوة، مع احتياج المدعوين إلى أن ينظروا عياناً إلى دعاة صادقين في أقوالهم وأعمالهم، ديدنهم الحق، وتلمس طرائق الحكمة ودرب الصواب، والابتعاد عن حظوظ النفس وشهواتها وأطماعها.

إنّ الأمة بحاجة إلى أن يساق لها الحق بوجهه الناصح لتؤوب إلى رشدها، لا أن تكثر الخلافات والمشكلات في صفوف المشتغلين بالدعوة إلى الإسلام، فعندها نحتاج إلى من يصلح الدعاة قبل المدعوين.

---

(١) للاستزادة انظر: الشريعة، الآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي ٥٤ وما بعدها.

الفصل الثالث

إعداد الدعاة وصفاتهم

المبحث الأول: إعدد الدعاة

المبحث الثاني: صفات الدعاة

المبحث الأول

إعداد الدعاة

على قدر أهمية الدعوة، وثقل الضغوط فوق كواهل الدعاة تكون حاجتنا إلى طراز فريد من الدعاة يرتفع إلى مستوى هذه المسؤولية الضخمة، خاصة إذا ما تصوّرنا ما آلت إليه أمور العامة اليوم، من التنادي بالرذيلة، والتواصي بجفاء أهل الحق، إنّ إنسان هذا الزمان يعيش مدفوعاً بمزاجه المتقلّب، تساعده قوى عالمية، وأجهزة إعلام توسوس له بالإثم والعدوان تبيّن ضرورة أن يكون الداعية على مستوى المسؤولية[1].

إنّ من يتصدى لمنصب الرسالة ودعوة الناس إلى الحق، في حاجة كبرى إلى أن يربى أحسن تربية، ويهذب بأفضل أنواع التهذيب.

وقد ربّى الله تعالى نبيه محمداً ﷺ فأحسن تربيته، فقصّ عليه من سيرة الرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام ما فيه العبرة، وأراه من سلوكهم مع أقوامهم ما يكفي لتهذيب نفس المصلح وترويضها على الخير، ثم أمره أن يقتدي بهم في الهدى ويتأسى بهم في الصبر، والتحمّل، وأن يقول لقومه كما قال أولئك الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو لا يسألهم عن تبليغ رسالات الله أجراً، وإنما يطلب المثوبة من الله تعالى، ورسولٌ ذلك شأنه من حق الناس أن تصغي إليه، وحسبه أن يقول الله له: ﴿ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[الأعراف: ١٩٩-٢٠٠].

لقد عني الخالق جلّ جلاله بتربية أفضل أنبيائه وخاتمهم ﷺ ليكون مهيئاً لحمل الرسالة الخاتمة، ويتحمل مصاعبها ومشكلاتها، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك.

فمن وسائل تربية الله تعالى له: تزهيده في زخارف هذه الحياة، فلا يمدّ عينيه إلى ما متع الله به أصنافاً من الخلق، فإن رزق الله له من الحكمة العالية، والقناعة والرضى

---

(١) انظر: نحو أسلوب أمثل للدعوة الإسلامية، د. محمود محمد عمارة ١٠٠.

والآداب هو خيرٌ له وأبقى من أولئك الزخارف، وما أحوج الداعية إلى تدبّر ذلك النوع من التربية، وترويض نفسه على الزهد في هذه الحياة حتى لا يكون همّه محصوراً فيها، وحتى لا يتفرّق عليه شمله، وتضيع عليه غايته وهي الدعوة إلى الله تعالى[1].

لقد أوجب الله على هذه الأمة أن تهيء من بينها طائفة لتقوم بالدعوة إلى دين الله، والتهيئة ليست أمراً هيناً، وليست سريعة الإيجاد، ولكنها تحتاج لإمكانيات مكثفة ومتنوعة، ذلك أنّ الإنسان هو أصعب الصناعات في هذا الوجود.

إنّ الإنسان يولد ومعه بعض الصفات الموروثة من والديه، وسرعان ما يكتسب من بيئته صفات أخرى، والصفات الموروثة لا تستبدل، وإنّما تتهذب بواسطة بيئة الشخص وتترقى بسبب العلاقات والمؤثرات الاجتماعية التي يعيشها الفرد، والداعية واحدٌ من الناس يرث صفات ويكتسب أخرى.

إنّ الإسلام أكثر حاجة في العصر الحديث إلى دعاة يفقهون أحكامه وآدابه وأوامره ونواهيه الفقه الواجب، وينشرونه بين الناس بوضوحه وتمامه، ويجدّون لخدمته ويجعلونه شاغلهم كلّه ويتقربون بذلك لله ربِّ العالمين.

إنّ هؤلاء الدعاة سيكونوا منارات للحق في وسط معمعة من الباطل، وسيكونوا الشعاع الذي يرشد إلى ضوء النهار، وسيكونوا الحياة وسط قوم يتمتعون بالموت وهم صامتون.

وواجب على المسلمين جميعاً أن يقوموا بتهيئة هؤلاء الدعاة وتنشئتهم، ومن المعلوم أنّ التنشئة تبدأ مع الإنسان من صغره، حيث يكتسب من بيئته الكثير، والبيئة عبارة عن بيت وأقران ومدرسة[2].

---

(١) انظر: دعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد أحمد العدوي ٤٠١.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش ٤٣٤ وما بعدها.

ولعلّ من أبرز معالم إعداد الدعاة ما يلي:

١- العناية بتنشئتهم على تعلم أحكام الإسلام وخصائصه وآدابه، وتسليحهم بجميع المستلزمات الدعوية.

٢- العناية بمدارسة القرآن الكريم والسنة النبوية، والسيرة معهم، على وجه يراد منه التلقي والتأسي والاتبّاع.

٣- العناية بصحبة العلماء العاملين للإفادة من خبراتهم وأساليبهم.

٤- تعميق معاني الأخوة الإيمانية فيما بينهم، ليتبادلوا حقوقها، ويشعروا بفائدتها.

٥- العناية بمدارسة التطبيقات الدعوية، ومناقشة الأخطاء وخاصة العمليَّة منها لتلافيها والإفادة منها لتستقيم أحوال الدعوة[1].

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني ١٦٨.

المبحث الثاني

صفات الدعاة

الصفات جمع صفة.

قال الجرجاني: الصفة: هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات، وهي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها[(١)].

وقال الأصفهاني: الوصف: هو ذكر الشيء بحليته ونعته، والصفة: الحالة التي عليها الشيء من حليته ونعته[(٢)].

إن الدعاة هم الهداة إلى الله، والقوّامون على دينه، والذائدون عن حرماته، والواقفون على مفترق الطريق، يرشدون الحيارى، ويبصِّرونهم أعلام الطريق، هؤلا الذين يبلِّغون رسالات الله، والذين اصطفاهم الله لحمل أمانته ودعوة الخلق للحق، عرفوا قدر الأمانة فوفّوها حقها، ووقفوا حياتهم لها، وضحّوا بكل شيء من أجلها، ولم تصرفهم عنها مباهج الدنيا، ولا مفاتن الحياة ولا خدع الآمال، ولعلّ من أهم ما امتازوا به أنهم يجمعون الشتات، ويوحّدون الكلمة، ويقوّمون الصفّ، وينصاعون للحق، ويحملون ما صدر من غيرهم على أحسن معانيه ما وجدوا له في الخير مذهبا، كبرت صدروهم فوسعوا الناس على اختلاف درجاتهم ببسط الوجه[(٣)].

وعلى كل فإن الصفات التي نعنيها: هي ما يتحلى به الداعية ويتسّم به من خلالٍ، سواء أكانت صفات أساسية أم صفات لازمة[(٤)].

---

(١) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ١٧٣ وما بعدها.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٥٢٥.

(٣) دعوة الإسلام، سيد سابق ٢٩٣ وما بعدها.

(٤) انظر: صفات الداعية، للمؤلف ١٠.

أولاً: الصفات الأساسية

١- قوة الصلة بالله عز وجل:

الداعية مرشد إلى الخير وموجه نحو الهدى، وكل هدفه: تعريف الناس بخالقهم ليفوزوا بسعادة الدارين، وعليه أن يُمتِّن صلته با لله عز وجل؛ لتكون دعوته نابعة في قوله وفعله.

فالاجتهاد في الطاعات والتقرب بها إلى الله عز وجل من أقوى أسلحة الدعاة، ذلك لأن للطاعات نوراً ينعكس على وجوههم، ووقاراً وهيبةً يدعوان الناس إلى احترامهم وتقديرهم.

وأقرب القربات وأعظم الطاعات التي تجعل صلة الداعية قوية بمن يدعو الناس إليه، الواجبات المفروضة، كالصلوات الخمس وأداء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام، ثمّ تكون النوافل يُجْبرُ بها الكسر ويكمل بها النقص ويتقرّب بها إلى ربّ السموات والأرض، فيصفو القلب وتزكو النفس، وتطهر الجوارح، فلا ينظر عندها الداعية إلا إلى ما يحلّ له، ولا يسمع إلا لما يستفيد منه، ولا يمدّ يده إلا إلى الحلال، ولا عيش إلا في الطاعة والرضوان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحبّ إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنّه...)[١].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: التواضع ٢٤٣/٧-٢٤٤ رقم ٦٥٠٢.

وكان إمام الدعاة قدوتنا محمد ﷺ يجد راحته وقرة عينه في الصلاة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)[١]. ويقول ﷺ: (يَا بِلَالُ أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ)[٢].

فالصلاة استرواح وخلوص من مشاغل الحياة وعنائها؛ ليقف الداعية بين يدي الله في خشوع وخضوع وركوع وسجود، والصلاة مصدر متجدّد للطاقة الروحية والزاد، وقد توزّعت أوقاتها على الليل والنهار؛ لمواصلة التزوّد وتجديد الرصيد من الزاد، وقد يسرّ الله أداءها في كل الأحوال والأوقات في السلم والحرب، في السفر والإقامة، في الصحة والمرض، وهذا من فضل الله ورحمته جل جلاله.

ولقد كان رسول الله ﷺ أتقى المسلمين وأخشاهم لله عز وجل وكان يجتهد في العبادة اجتهاداً شديداً.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لا يَصُومُ)[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاهُ قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)[٤].

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب: عشرة النساء، باب: حبّ النساء، صحيح سنن النسائي، الألباني ٨٢٧/٣ رقم ٣٦٨٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٦٤/٥ رقم ٢٣١٣٧، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات ١٧٨/٣٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الصيام، باب: صيام النبي ﷺ في غير رمضان ٨١١/٢ رقم ١١٥٧.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: إكثار الأعمال، والاجتهاد في العبادة ٢١٧٢/٤ رقم ٢٨٢٠.

وعن مطرف عن أبيه قال: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ يَعْنِي يَبْكِي)[1].

وكان ﷺ لا يترك صلاة الليل في حضر ولا سفر، وكان يتصدق بكل ما عنده ولا يبقى لنفسه شيئاً.

لهذا كان الا جتهاد في الطاعات، والتنافس في الخيرات من أبرز سمات الدعاة إلى الله؛ حيث تكون الصلة وثيقة بينهم وبين بارئهم، فالصلاة معراجهم إلى الله، والصوم جنة من النار، والصدقة تطفئ غضب الرب[2].

الإخلاص:

الإخلاص في اللغة: هو الصفاء من الكدر والشوائب[3]. كما في قوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾[النحل: ٦٦].

وفي الاصطلاح: هو التبرّي عن كل ما دون الله تعالى[4].

وقيل هو: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن.

وقيل هو: إفراد الحق سبحانه بالتعبد في الطاعة. وقيل: هو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب: السهو، باب: البكاء في الصلاة، صحيح سنن النسائي، الألباني ١/ ٢٦٠ رقم ١١٥٦، وأخرجه أبوداود في كتاب: الصلاة، باب: البكاء في الصلاة، صحيح سنن أبي داود، الألباني ١/ ١٧٠ رقم ٩٠٤.

(٢) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل ٨٥-٨٦، مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب ٢١٥ وما بعدها، صفات الداعية، للمؤلف ٢٧ وما بعدها.

(٣) مختار الصحاح، الرازي ١٨٤، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المقرّي الفيومي ١/ ٢١٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ١٥٤ – ١٥٥.

وقيل هو: التوقّي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسك. وقيل: هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق[1].

وقيل: هو تصفية العمل من كل شوب[2].

وقيل هو: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدّر لصفائه[3].

والإخلاص: روح كل عمل، والأعمال التي يستعظمها الناس لا وزن لها عند الله عز وجل إذا فقدت هذه الروح[4]. وهو روح الدين، ولباب العبادة، وأساس أي داع إلى الله، فإذا غاض هذا المعنى أو تضاءل لم يبق هنالك ما يستحق الاحترام لا في الدنيا ولا في الآخرة[5].

والإخلاص أمر في أعماق القلب، لا يطلع عليه أحدٌ إلا الله تبارك وتعالى، ولكنّه يتجلّى في أمور عديدة، وثمرته تبدو واضحة في مجال الدعوة.

ومن هنا نرى الفرق واضحاً بين رجلين تساويا في أمور كثيرة، ولكنهما اختلفا في درجة الإخلاص.

ويتجلى الإخلاص عند الداعية الصادق في كونه لا يريد من دعوته إلا وجه الله تعالى، فلا يريد أن يحظى بمكانة اجتماعية مرموقة، ولا يهمّه كثيراً أن يكون مرفوعاً، أو أن يكون مغموراً بين الناس، لا يبالي بنظرة الناس ولا بثنائهم، ولا يسعى إلى كسب

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ٩١/٢.

(٢) المرجع السابق ٩٢/٢.

(٣) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٣٤.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، السيد جلال الدين العمري، تعريف: محمد أجمل أيوب الإصلاحي ٣٥٦.

(٥) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة"، محمد الغزالي ٢٠٢.

إعجابهم ومديحهم، ولا يبغي من دعوته كسب المال الوفير، ويتجلى الإخلاص في الداعية في أن يُسرّ إذا تحققّ الخير على يدي غيره، كما يُسرّ لو تحقق على يديه[1].

وعلامة الإخلاص: الانفعال بالدعوة والتحمس لها، وبذل أقصى الجهد في تبليغها، ذلك لأنّ من أخلص لشيء أعطاه كل ما يملك، فماله ووقته وجهده وفكره، وكل إمكاناته لابدّ أن تكون كلها في خدمة الدعوة وتحت تصرفها، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة؛ حيث أعطى دعوته كلّ ما يملك، ولم يترك فرصة يستطيع فيها تبليغ دعوته إلا انتهزها، ولم يكن يطلب جزاءً ولا شكورا، ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[الشورى: ٢٣][2].

وقد جاءت نصوص شرعية كثيرة تأمر بالإخلاص وتُشدِّد على التمسك به، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البينة: ٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزمر: ٢-٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾[الزمر: ١٤-١٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠].

---

(١) انظر: من صفات الداعية، محمد الصباغ ٤٤-٤٥، من ركائز الدعوة، د. مجدي الهلالي ٤٧.

(٢) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل ٨٦-٨٧.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟

فقال: إنّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنّة[(١)].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَالنُّصْحُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ)[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ)[(٣)].

وعن أبي موسى عبدالله بن قيس الأشعري رضي الله عنه قال: (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وحَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ٢/٨٩.

(٢) أخرجه ابن ماجة في: المقدمة، باب: من بلغ علماً، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ١/٤٤-٤٥ رقم ٢٣٠.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٤/١٩٨٧ رقم ٢٥٦٤.

الرَّجُلُ يُقَاتِلُ مِنَّا شَجَاعَةً فَذَكَرَ مِثْلَهُ)[1].

ومن أبرز النصوص الشرعية من سنة النبي الكريم ﷺ التي بيّنت أنَّ مدار الأعمال على النيّة، حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**)[2].

ومن أبرز آثار الإخلاص على نفسية الداعية: نكران الذات، فإنَّ الداعية لا يفكّر دائماً في نفسه بل يفكر دائماً في قبول عمله من عدمه.

ولو تحقّق الإخلاص في واقع الصف المسلم لما كان هذا الشتات بين الدعاة، وتلك الفرقة بين أبناء الإسلام، علماً أن البناء واحد، والغاية واحدة، والعدو واحد، ولكنّه عبث الأهواء، والرغبة في الظهور وأجواء المصالح، والخلافات الشخصية، وإحاطة ذلك كلّه بحالة من المبررّات الشرعية، والشرع منها بريء، والاستعانة بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة ولويها وتأويلها، وحملها ما لا تحتمله من الاجتهاد الفاسد والقياس مع الفارق[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من سأل وهو قائمٌ عالماً جالساً ٤٥/١ رقم ١٢٣، وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ١٥١٣/٣ رقم ١٩٠٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٥/١ رقم ١٦٨، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح ٢٢٧/١، وأخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٣/١ رقم ١، وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنية) ١٥١٥/٣ رقم ١٩٠٧، وأخرجه أبو داود في كتاب: الطلاق، باب: ما عني به الطلاق والنيات، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٤١٥/٢ رقم ٢٢٠١، وأخرجه الترمذي في أبواب: فضائل الجهاد، باب: ما جاء من يقاتل رياء وللدنيا، صحيح سنن الترمذي، الألباني ١٢٨/٢ رقم ١٧١٤، وأخرجه النسائي في كتاب: الطهارة، باب: النية في الوضوء، صحيح سنن النسائي، الألباني ١٧/١ رقم ٧٣، وأخرجه ابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: النيّة، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ٤١٣/٢ رقم ٤٢٢٧.

(٣) انظر: المنهاج في ضوابط السلوك والمنجيات، هاشم محمد ١٣٢-١٣٤.

فإذاً علاج الإخلاص: كسر حظوظ النفس، وقطع الطمع عن الدنيا، والتجرّد للآخرة؛ بحيث يغلب ذلك على القلبَ، فإذْ ذاك يتيسّر الإخلاص[(١)].

العلم:

إنّ هذه الصفة من أهم الصفات اللازم توفرّها في الداعية، فإن الداعية الموفّق هو الذي يدعو على علم وعلى هدى وبصيرة، ومن هنا جاءت التوجيهات القرآنية والنبوية تلفتان النظر إلى قيمة العلم وأهله.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[العنكبوت: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة: ١١].

وقال تعالى: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤].

وعن أبي واقد الليثي أنّ رسول الله ﷺ بينما هو جالسٌ في المسجد، والناس معه إذْ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأمّا الآخر فجلس خلفهم، وأمّا الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: **(ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أمّا أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأمّا الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأمّا الآخر فأعرض فأعرض الله عنه)**[(٢)].

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، تخريج: الحافظ العراقي المجلد الخامس، الجزء الرابع عشر ص ١٨٥، صفات الداعية، للمؤلف، ٣٢ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ١/٢٨ رقم ٦٦.

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي...)[(١)].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها نقيّة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنمّا هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، فنفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلتُ به)[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (نَضَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ثُمَّ بَلَّغَهَا عَنِّي فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ)[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقْنُوهُمْ)[(٤)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ٣٠/١ رقم ٧١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: فضل من عَلِم وعلّم ٣٢/١-٣٣ رقم ٧٩.

(٣) أخرجه ابن ماجة في: المقدمة، باب: من بلّغ علما، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ٤٥/١-٤٦ رقم ٢٣٦.

(٤) اقنوهم: أي علموهم، والحديث أخرجه ابن ماجة في: المقدمة، باب: الوصاة بطلبة العلم، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني ٤٧/١ رقم ٢٤٧.

(٥) أخرجه ابن ماجه في: المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني ٤٤/١ رقم ٢٢٤.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما: عابد، والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: (فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ)، ثم قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ)[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَإِذَا انْطَمَسَتْ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ)[٢].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا وَلا خَيْرَ فِيمَا سِوَاهُمَا)[٣].

عن جابر رضي الله عنهما قال: (خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ فَقَالُوا مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ قَتَلُوهُ قَتَلَهُمْ اللَّهُ أَلا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ أَوْ يَعْصِبَ شَكَّ مُوسَى عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ)[٤].

وعن عطاء بن أبي رباح رحمه الله قال: (سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُخْبِرُ أَنَّ رَجُلًا أَصَابَهُ جُرْحٌ فِي رَأْسِهِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَصَابَهُ احْتِلَامٌ فَأُمِرَ

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: العلم، باب: في فضل الفقه على العبادة، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٣٤٣/٢ رقم ٢٨٣٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥٧/٣ رقم ١٢٦٢١، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف ٥٢/٢٠.

(٣) أخرجه الدارمي في: المقدمة، باب: في فضل العلم والعالم ٩٧/١.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب: الطهارة، باب: المجروح يتيمم، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٦٨/١-٦٩ رقم ٣٣٤.

بِالِاغْتِسَالِ فَاغْتَسَلَ فَكُزَّ[1] فَمَاتَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قَتَلُوهُ قَتَلَهُمْ اللَّهُ أَوَلَمْ يَكُنْ شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالُ قَالَ عَطَاءٌ وَبَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ غَسَلَ جَسَدَهُ وَتَرَكَ رَأْسَهُ حَيْثُ أَصَابَهُ الْجِرَاحُ"[2].

ونخلص مما تقدم على أهمية تحصيل الداعية للعلم الشرعي، حتى يبلّغ عن الله تعالى، عن دراية وسداد، كما أمر الله سبحانه بذلك: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف: ١٠٨][3].

القدوة الحسنة:

القدوة هي الأسوة، يقال: فلان قدوة يقتدى به[4].

والقدوة اسم من اقتدى به، إذا فعل مثل فعله تأسياً، والقدوة: الأصل الذي يتشعب منه الفروع[5].

والأسوة: القدوة، والأسوة ما يتأسى به، أي يُتعزّى به، فيقتدى به في جميع أفعاله، ويتعزّى به في جميع أحواله[6].

---

(١) الكزازة: داء يتولد من شدة البرد، وقيل هو نفس البرد.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٣٠ رقم ٣٠٥٧، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح٥/ ٢٢-٢٣.

وأخرجه أبو داود في كتاب: الطهارة، باب: المجروح يتيمّم، صحيح سنن أبي داود، الألباني ١/ ٦٩ رقم ٣٣٧، وأخرجه ابن ماجة في كتاب: الطهارة، باب: في المجروح تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه إن اغتسل، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ١/ ٩٣ رقم ٥٧٢.

(٣) للاستزادة انظر: صفات الداعية، للمؤلف ٣٧ وما بعدها.

(٤) مختار الصحاح، الرازي ٥٢٥.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المقري الفيومي ٢/ ٥٩٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٤/ ١٥٥.

والاقتداء: طلب موافقة الغير في فعله[(١)].

والأسوة نوعان:

أ- أسوة حسنة: كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب: ٢١].

فرسول الله ﷺ يمثّل الأسوة والقدوة الحسنة، فإنّ المتأسي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم.

ب- وأسوة سيئة، وهو كل من يقتدي به غيره في السوء والشر، كقول المشركين حين دعتهم الرسل للتأسّي بهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الزخرف: ٢٣][(٢)].

لقد حثّ الإسلام أتباعه على الاقتداء بالصلحاء والشرفاء والعقلاء، وفي مقدمة أولئك أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠]. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦].

قال الحسن البصري رحمه الله: "عظ الناس بعقلك ولا تعظهم بقولك".

وقال أيضاً رحمه الله: "الواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقوله، وكان ذلك شأنه إذا أراد أن يأمر بشيء بدأ بنفسه ففعله، وإذا أراد أن ينهى عن شيء انتهى عنه" فمن أسرته نفسه، وأصبح عبداً لهواه فلا يمكن أن ينكر على الآخرين[(٣)].

(١) المرجع السابق ٣٥/٧.

(٢) للاستزادة انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق ٧٦٤.

(٣) فقه الدعوة في إنكار المنكر، عبدالحميد البلالي ٥٠ وما بعدها.

وقديماً قيل: ما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان، وما خرج من القلب فإنه يستقرّ في القلب.

وإذا خالف فعل الداعية قوله ربما لم يقتصر الضرر على نفسه، بل تعدى ذلك الضرر إلى غيره، وكان قدوة سوء في المجتمع.

ولهذا ذمّ الله تعالى مثل هذا الصنع فقال سبحانه: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[البقرة: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الجمعة: ٥].

وعن أبي وائل قال: قيل لأسامة رضي الله عنه: لو أتيتَ فلاناً فكلمته، قال: إنكم لترون أني لا أكلّمه إلا أسمعكم، إنّي أكلّمه في السرّ دون أن أفتح باباً لا أكون أوّلَ من فتحه، ولا أقول لرجل –إن كان عليٌّ أميراً- إنه خير الناس، بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ، قالوا: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)(١).

قال ابن القيم رحمه الله: علماء السوء جلسوا على باب الجنة، يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلّما قالت أقوالهم للناس: هلمّوا، قالت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة ١٠٨/٤ رقم ٣٢٦٧، وفي كتاب: الفتن، باب: الفتنة التي تموج كموج البحر ١٢٤/٨ رقم ٧٠٩٨، وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله ٢٢٩٠/٤ – ٢٢٩١ رقم ٢٩٨٩.

أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أوّل المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطّاع طرق"[1].

إن الداعية إلى الله يكسب لدعوته بسلوكه الحسن، وقدوته الطيبة أكثر مما يكسبه لها بأقواله اللبقة، لأنّ الناس ينظرون دائماً إلى الدعاة كنماذج حيّة لما يدعون إليه، ويتأثرون بسلوكهم العملي أعظم مما يتأثرون بكلماتهم وخطبهم المثيرة"[2]. ولقد حدث ذلك مع رسول الله ﷺ، (حين أمر أصحابه بعد صلح الحديبية أن ينحروا هديهم ويحلقوا رؤوسهم).

قال ابن القيم رحمه الله: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ: (قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام منهم رجلٌ واحد، حتى قال ذلك: ثلاث مرّات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أمّ سلمة، فذكر لها ما لقيَ من لاناس، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، أتحبُّ ذلك، اخرج ثم لا تكلمْ أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدنَك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام، فخرج، فلم يكلّم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناسُ ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتلُ بعضاً غماً)"[3].

---

(١) الفوائد، ابن القيم ٦١.

(٢) أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل ٧٤.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط ٢٩٥/٣، وللاستزادة، انظر: صفات الداعية، للمؤلف ٤٤ وما بعدها.

الرفق:

الرفق في اللغة: ضد العنف[1].

وفي الاصطلاح: لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف[2]، لقد كان الرفق ديدن دعوة الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، فقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، استخدم معهم أنواعاً من الأساليب؛ ليقبلوا على دعوته ويقبلوا منه، لكنّ المحصِّلة كانت قليلة، وكذا عاش إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام على لأواء أقوامهم يدعونهم إلى الله برفق وعدم عجلة، حتى نصّ القرآن الكريم على وجه من توجيهات الرب تبارك وتعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام في دعوتهما إلى فرعون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[طه: ٤٣-٤٤].

فالقول اللين: هو القول الذي لا خشونة فيه، وإذا كان موسى عليه السلام أُمر بأن يقول لفرعون قولاً ليّنا، فمن دونه أحرى بأن يقتدى بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة: ٨٣][3].

ولقد تحلّى قدوة الدعاة، النبي الخاتم محمد ﷺ بالرفق في أقواله وأفعاله مع من دعاهم إلى الله تعالى، وكان ذلك سبباً رئيساً من أسباب نجاحه في دعوته ﷺ، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: **(بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوباً من ماء، فإنما**

---

(١) مختار الصحاح، الرازي ٢٥١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٠/٤٤٩.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٠/٢٠٠.

بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)[1]، وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: (بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمِّياه. ما شأنكم؟ تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمِّتونني، لكنِّي سكت، فلمَّا صلَّى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمِّي، ما رأيت معلِّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما كهرني[2] ولا ضربني ولا شتمني. قال: إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنَّما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن...)[3].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: (إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ)[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الطهارة، باب: صب الماء على البول في المسجد ١/٦٩-٧٠ رقم ٢٢٠، وأخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأنَّ الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حصرها ١/٢٣٦-٢٣٧ رقم ٢٨٥.

(٢) كهرني: يقال القهر والكهر والنهر، متقاربة: أي ما قهرني ولا نهرني.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحة ١/٣٨١-٣٨٢ رقم ٥٣٧.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٥٦-٢٥٧، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح ٣٦/٥٤٥.

ولقد حثّ النبي ﷺ المسلمين عامة، ويدخل في ذلك الدعاة من باب أولى إلى التحلي بالرفق، فمن ذلك: ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ قال: (**إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**)[1].

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (**مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ**)[2].

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: (**إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ**)[3].

فبالرفق تُساس الطباع، ويُعرف مكمن الداء، ويعطى الدواء، لتستقيم الأنفس على الخير، وتقبل دعوة الله عز وجل، ويزول ما في الصدور ما حلّ فيها من عوارض البغض، وأسباب الشحناء، ولا شك أنّ الدواء لهذا كلّه بلسم الرفق[4].

الصبر:

الصبر في اللغة: حبس النفس وكفّها عن الجزع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[الكهف: ٢٨][5]، أي احبس نفسك معهم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق ٢٠٠٣/٤-٢٠٠٤ رقم٢٥٩٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق ٢٠٠٣/٤ رقم ٢٥٩٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق ٢٠٠٤/٤ رقم ٢٥٩٤.

(٤) انظر: كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ٤٧-٧٥، وللاستزادة انظر: صفات الداعية، للمؤلف ٥٤ وما بعدها.

(٥) انظر مختار الصحاح، الرازي ٣٤٥، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المقري الفيومي، ٣٩٢/١.

وفي الاصطلاح: هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عمّا يقتضيان حبسهما عنه[1]. وهو حبس النفس عن الجزع والتسخّط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش[2].

قال ابن القيم رحمه الله: ذكر الصبر في القرآن الكريم على نحو من ستة عشر نوعاً.

الأول: الأمر به نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾[البقرة: ١٥٣].

الثاني: النهي عن ضدّه كقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ﴾[الأحقاف: ٣٥].

الثالث: الثناء على أهله، كقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾[البقرة: ١٧٧].

الرابع: إيجابه سبحانه محبته لهم، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾[آل عمران: ١٤٦].

الخامس: إيجاب معيته لهم، وهي قيمة خاصة تتضمن: حفظهم ونصرهم وتأييدهم، ليست معية عامة، وهي معية العلم والإحاطة كقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾[الأنفال: ٤٦].

السادس: إخباره بأن الصبر خيرٌ لأصحابه، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾[النحل: ١٢٦].

السابع: إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٩٦﴾[النحل: ٩٦].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ٢٧٣.

(٢) مدارج السالكين بين منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي٢/١٥٦.

الثامن: إيجابه سبحانه الجزاء لهم بغير حساب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

التاسع: إطلاق البشرى لأهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥].

العاشر: ضمان النصر والمدد لهم، كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٥].

الحادي عشر: الإخبار منه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].

الثاني عشر: الإخبار أنه ما يلقى الأعمال الصالحة وجزاءها والحظوظ العظيمة إلا أهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٨٠]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٥].

الثالث عشر: الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم: ٥].

الرابع عشر: الإخبار بأن الفوز المطلوب المحبوب، والنجاة من المكروه المرهوب، ودخول الجنة إنما نالوه بالصبر، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

الخامس عشر: أنه يورث صاحبه درجة الإمامة، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[السجدة: ٢٤].

السادس عشر: اقترانه بمقامات الإسلام، والإيمان، كما قرنه الله سبحانه باليقين والإيمان، وبالتقوى والتوكل، وبالشكر والعمل الصالح والرحمة، ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له.

ودلت الأحاديث النبوية الشريفة على منزلة الصبر ومكانته فمنها:

ما رواه أبو مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (...وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ....)[(١)].

وعن صهيب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[(٢)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (أَنَّ نَاسًا مِنْ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنْ الصَّبْرِ)[(٣)]. وقد أمر ﷺ عند ملاقاة العدو بالصبر.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء ١/٢٠٣ رقم ٢٢٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير ٤/٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف في المسألة ٢/١٥٧ رقم ١٤٦٩، وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر ٢/٧٢٩ رقم ١٠٥٣.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى)[1]. فالصبر أنفع الأمور للمصاب؛ لأنه يخفف المصيبة، ويوفّر الأجر، بخلاف الجزع والتسخط والتشكّي فإنه يزيد في المصيبة ويذهب الأجر[2].

انواع الصبر:

١- صبر عن معصية الله.

وذلك بمطالعة الوعيد، إبقاء على الإيمان، وحذراً من الحرام، وحياءً من الواحد الديَّان.

٢- صبر على طاعة الله.

بالمحافظة عليها دواماً، وبرعايتها إخلاصاً وبتحسينها علماً.

فعل الطاعة آكد من ترك المعصية، فيكون الصبر عليها فوق الصبر عن ترك المعصية في الدرجة. فترك المعصية إنما كان لتكميل الطاعة، والنهي مقصود للأمر. فالمنهي عنه لما كان يُضعف المأمور به وينقصه: نُهِيَ عنه حماية، وصيانة لجانب الأمر، فجانب الأمر أقوى وآكد، وهو بمنزلة الصحة والحياة، و النهي بمنزلة الحِمْيَة التي تراد لحفظ الصحة وأسباب الحياة.

ولابدّ وأن تكون هذه الطاعة خالصة لله تعالى، ومطابقة لسنّة رسول الله ﷺ حتى تقبل.

٣- الصبر على البلاء.

بملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج، وتهوين البليّة بعدِّ أيادي المنن وبذكر سوالف النعم[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: الصبر عند الصدمة الأولى ١٠٥/٢ رقم ١٣٠٢، وأخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى ٦٣٧/٢ رقم ٩٢٦.

(٢) للاستزادة انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١٥٣/٢ وما بعدها.

(٣) انظر: المرجع السابق ١٦٤/٢ – ١٦٨.

والصبر في مجال الدعوة وفي حياة الدعاة يشمل هذه الأنواع الثلاثة، فالداعية يصبر على طاعة الله وعن معصيته في حال التزامه بما يدعو إليه ويصبر على أقدار الله المؤلمة والمشكلات التي قد تعترضه في طريق دعوته، وهذا النوع من الصبر هو من عزائم الأمور[1].

الداعية إلى الله في أمس الحاجة إلى التحلي بخلق الصبر، إذ إنّ نظام الكون اقتضى أن يكون لأصحاب الدعوات أعداء يمكرون بهم، ويكيدون لهم ويتربصون بهم الدوائر، ولذلك كان لآدم ﷺ إبليس، وكان لإبراهيم ﷺ نمروذ، وكان لموسى عليه الصلاة والسلام فرعون، وكان لمحمد ﷺ أبو جهل، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾[الفرقان: ٣١].

فما أحوج الداعية إلى الصبر على هذا البلاء، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾[الأنعام: ٣٤].

وقد جاء التوجيه لنبينا محمد ﷺ وهو خير الدعاة وإمامهم: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ﴾[الأحقاف: ٣٥].

فإذا كان الصبر ضرورياً لكل مسلم فإنه بالنسبة للداعي أشدّ ضرورة؛ لأن الداعية يعمل في ميدانين: ميدان نفسه، يجاهدها ويحملها على الطاعة، ويمنعها من المعصية، وميدان خارج نفسه وهو ميدان الدعوة الفسيح، ومخاطبة الناس ومخالطتهم؛ لأن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرُ من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم[2].

---

(١) انظر: صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ١١٧ وما بعدها.

(٢) انظر: الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبدالعزيز ٦٠-٦١.

ولقد أدرك هذه الحقيقة لقمان الحكيم وهو يوصي ولده وصيته المشهورة والتي نصّ عليها القرآن الكريم ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾[لقمان: ١٧]. ونلاحظ في هذه الوصية المباركة أن لقمان رتب الأمر ترتيباً يحسن بالدعاة مراعاته، حيث بدأها بإعداد النفس وأخذها بالطاعة، ثم ثنى بدعوة الغير، ثم أمره بالصبر على ما يصيبه، وتحمّل ما يعرض له[1].

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في صبره وشدّة تحمله على ما أصابه في طريق الدعوة فقد ألصقت به ﷺ عبارات السوء فقالوا عنه: شاعر، وكاهن، وساحر، ويعلمه بشر... الخ، وقد كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد، وصبر على ذلك ﷺ.

وكان من صور صبره ﷺ في دعوته للمشركين:

ما جاء في حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسّد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا. ألا تدعو لنا؟ فقال: (قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ بِنِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ فَقَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل ٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام ٢١٧/٤ رقم ٣٦١٢.

فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ[(١)]، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)[(٢)].

وكان من صور صبره ﷺ في دعوته للمسلمين:

ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ فَقَالَ رَجُلٌ وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ قَالَ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ قَالَ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ ثُمَّ قَالَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ ثُمَّ قَالَ يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ قَالَ قُلْتُ لا جَرَمَ لا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا)[(٣)].

وما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ

---

(١) الأخشبان: هما جبلا مكة: أبو قبيس، والجبل الذي يقابله.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤٢٠ – ١٤٢١ رقم ١٧٩٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: فرض الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ٤/٧٢ رقم ٣١٥٠، وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ٢/٧٣٩ رقم ١٠٦٢.

إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ثُمَّ قَالَ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)(١).

وقد حثّ المصطفى ﷺ المسلمين عامّة والدعاة خاصة بضرورة التحلي بالصبر بأنواعه الثلاثة في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً قَالَ الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)(٢).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ(٣) وَلا نَصَبٍ(٤) وَلا سَقَمٍ وَلا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهِمُّهُ إِلا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ)(٥).

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فرض الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ٤/٧٢ رقم ٣١٤٩.

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ٢/ ٣٧١ رقم ٤٠٢٣. وأخرجه الترمذي في أبواب: الزهد، باب: الصبر على البلاء، صحيح سنن الترمذي، الألباني ٢/٢٨٦ رقم ٢٥٢٢.

(٣) الوصب: الوجع اللازم.

(٤) النصب: التعب.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب: البرّ والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها ٤/١٩٩٢ – ١٩٩٣ رقم ٢٥٧٣.

الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ)[1].

والصبر قوّة نفسية إيجابيّة فعّالة، تدفع المتحلّي بها إلى مقاومة كل أسباب الخور والضعف والاستكانة والاستسلام، وتحمله على الصمود والثبات أمام الفتن والمغريات، وأمام المحن والمكاره والأحداث، إلى أن يأذن الله له بالنصر والتوفيق أو أن يلقى الله عزَّ وجل وهو عنه راضٍ[2].

والناس أصحاب أمزجة شتى، وعيوب شتى، وطباع شتى، وحاجات ومصالح شتى، ومشكلاتهم كثيرة، وهمومهم كبيرة، يحتاجون إلى من يتسع لهم، والداعية الموفّق هو الذي يعيش لغيره لا لنفسه، وتهمّه سعادة غيره ولو على حساب سعادة نفسه، يتجرع الغيظ في ذلك وهو على يقين بأنّه سيتحوّل في جوفه إيماناً، وسيكون له ذخراً عند الله يوم الحساب.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ)[3].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في الحلم وأخلاق النبي ﷺ، صحيح سنن أبي داود، الألباني ٩٠٧/٣ – ٩٠٨ رقم ٣٩٩٧.

(٢) صفات الداعية النفسية، عبدالله ناصح علوان ٣٥.

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: الحلم، صحيح سنن ابن ماجة، الألباني ٤٠٧/٢ رقم ٤١٨٩، وللاستزادة انظر: صفات الداعية، للمؤلف ٧٨ وما بعدها.

ثانياً: الصفات اللازمة:

١- التخطيط للدعوة:

يظنّ كثير من الدعاة أنَّ الدعوة تقوم على قول الكلمة الخيّرة في أي وقت، وفي أي مكان، وفي أي ظرف، وأنّها تسير بطريق عشوائي يستوي فيه الدعاة على اختلاف إمكانياتهم[(١)].

والواقع أنَّ هذا الظن خاطئ، فكما أنَّ الكلمة الخيّرة لها جمالٌ، وفيها بركة، إلا أنه يصحب كلمة الخير بل ربما يسبقها كلمات كثيرات زخرفت بفنون الباطل ومحاسنه، ممّا يكون له تأثير ساحر على قلوب كثيرين من الناس. وممّا يدلّ على ذلك كثرة ما نسمع في عالمنا اليوم، وفي واقع الناس اليوم، وفي محيط الدعوة المعاصر من: كلمات وتوجيهات وخطب ومواعظ وإرشادات ووصايا وتعليقات، ولكن المستجيب لها قليل، فما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار! ولذا فإنه ينبغي على الدعاة أن يبحثوا في أسباب عدم استجابة المدعو لكلمة الحق مع جلالها وفضلها، هل يعود عدم استجابته إلى مشكلات في المدعو، أم يعود ذلك إلى مشكلات في الداعية، أم يعود ذلك إلى مشكلات فيهما معاً.

إنّ كثيراً من الدعاة يتصوّر أنّ همه وهدفه ومنتهى أمله ينتهي في تلك الكلمة التي يلقيها على المدعو ولا ينظر في آثارها ومغزاها وفق الاستجابة لها، ويستشهد بقول الرسول ﷺ: **(ألا هل بلغت اللهم فاشهد)**[(٢)]، ولم يتصوّر هؤلاء أن إمام الدعاة ﷺ مكث سنوات طويلة أبان فيها معالم دعوته قبل أن يقول هذه الكلمة، ثم أنّه ﷺ لم يقل

---

(١) قواعد الدعوة إلى الله، د. همام عبدالرحيم سعيد ١١٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهدُ الغائب ٤٠/١ رقم ١٠٥، وأخرجه مسلم في كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ١٣٠٥/٣ رقم ١٦٧٩.

هذه الكلمة الجامعة المانعة، إلا حينما كان في ذلك المجمع العام وهو مجمع حجة الوداع، وكان ﷺ يخشى أنّه لا يلقى هذه الجموع مرة أخرى فكان ما قال.

إنّ الدعوة إلى الله بحاجة ماسّة إلى تخطيط قويم يعنى به دعاة اليوم كما عُني بها دعاة الأمس من دعوة النبي ﷺ وسلف هذه الأمة رضوان الله عليهم.

إن المتفحص في سيرة النبي ﷺ يرى أنّه كان يعنى بالتخطيط، فقد كان ﷺ يختار العيّنات الصالحة لأن تكون رسلاً للبشارة بالإسلام وهداية الناس إليه، فقد أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة، وأرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، وحبيب بن زيد رضي الله عنه إلى مسيلمة الكذاب، وقد كان يخبرهم بأحوال هذه المجتمعات وما هي عليه وما يصلح لها من دعوة، وقد أقام نبي الإسلام ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم لتربية الصحابة وتعليمهم أمور الإسلام، وقد عاش بدعوته السريّة ثلاث سنوات حتى كثر أتباع هذه الدعوة وأصبح لها قيمة في المجتمع المكي، وكذا كانت الهجرة النبوية تمضي بخطة مدروسة محكمة آتت ثمارها الحسنة والإيجابيّة.

إنّ التخطيط الواعي للدعوة هو الذي يوصل إلى النتائج المثمرة بأقصر الطرق بعد توفيق الله سبحانه وتعالى، وهو الذي ينقل الدعوة من قالبها التقليدي الجامد إلى روح عصريّة جديدة، تستخدم أفضل الوسائل، وتستخدم أرقى الأساليب، وتفيد من وسائل الاتصال المعاصرة والتقنية الحديثة المتطورة لتصل إلى كل قلب، من خلال محبوبات الناس ورغباتهم.

إنّ ما ينبغي بيانه والتأكيد عليه أنّ البذرة مهما كانت صالحة فإنها تحتاج في نمائها إلى صلاح الأرض، وطيب التربة، وملاءمة الطقوس، وكذلك كلمة الحق رغم أنّها تحمل في داخلها تأثيراً طبيعياً، فإنها تحتاج إلى أن يراعي الداعية عند عرض الدعوة أوضاع المخاطب النفسيّة، فإنّ القلوب والنفوس تختلف إقبالاً وإدباراً، وتقدّماً وتخلّفاً، ورغبة

وإعراضاً بفعل الملابسات والأحوال التي تناوبها، كاختلاف المواسم والفصول، تماماً في الملاءمة لشيء ما أو عدم الملاءمة له. إذن فيجب على العامل في مجال الدعوة الإسلامية أن يكون على معرفة تامة وخبرة عميقة بهذا الاختلاف الذي يواكب القلوب كمعرفة الفلاحين والمزارعين باختلاف المواسم وملاءمة الفصول لأنواع البذور والزروع[1].

٢- انتهاز الفرص:

لقد سلك أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم طرقاً متعددة في عرضهم للدعوة، سواء كان ذلك مع الملأ، أم مع العامة، رغبة في استجابتهم وإقبالهم على ما يدعونهم إليه، ولنا فيهم الأسوة الحسنة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

وإن الداعية اللبيب هو الذي يفيد من الدروس الدعوية التي تبرزها سور القرآن الكريم فيما يتعلق بدعوة الأنبيا لأقوامهم، وإنّ من المواقف الدعوية التي أبرزتها سورة يوسف، ذلك الموقف الفريد الذي تبناه نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام مع صاحبي السجن، ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

---

(١) للاستزادة انظر: منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، ونور عالم الندوي ٨٧ وما بعدها، صفات الداعية، للمؤلف ٩١ وما بعدها.

يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ [يوسف: الآيات: ٣٦-٤١].

فهذا الموقف بكل تفاصيله: هناك رجلان يدخلان السجن، ويريان في المنام رؤيا عجيبة، فيتوقان إلى الاطلاع على الحقيقة التي تنطوي عليها هذه الرؤيا، فيريان يوسف عليه الصلاة والسلام بين هؤلاء السجناء، الرجل الوحيد الذي يمكن أن يسعفهم بالحاجة، فيعرضان عليه، وهما يكنّان له كلّ الإجلال والإكبار، والتقدير والإعجاب، ولكن يوسف عليه الصلاة والسلام لا يسرع في الإجابة، ولا يكتفي بإرضاء الحاجة، ولا يستغل هذه الفرصة في تضخيم شخصيّته أمام أعينهما، أو في كسب إعجابهما، أو في نيل المصالح الذاتية، بل يقدر هذ اللفتة الكريمة الثمينة من الرجلين، فيستخدمها في نشر الدعوة.

وينفذ إلى الغرض من خلال الأسلوب الذي ينمّ عن أنّ الكلام الدعوي تفرع من صميم الحديث الذي بدأ فيه من أجل تأويل رؤياهما، ولم يقصده توأ، مما يدل على أمرين مهمين:

الأول: أنه ينبغي للداعي أن يترقب الفرصة المناسبة لنشر الدعوة، ترقّب الفلاحين لنزول المطر، واعتدال الجوّ، ومواتاة الطقوس.

الثاني: أنّه إذا أتاح الله له فرصة ما، تلائم عرض الدعوة، فلا يجوز له أن يدعها تضيع هدراً، بل يبادر في استعمالها في أكبر غاية وأعظم هدف[(١)].

(١) انظر: المرجع السابق ٩٣ وما بعدها.

وكان سبب حبس الملك للرجلين أنّه توهم أنهما تمالآ على سمه في طعامه وشرابه، وكان يوسف عليه الصلاة والسلام قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة، وصدق الحديث، وحسن السمعة، وكثرة العبادة، ومعرفة التعبير، والإحسان إلى أهل السجن، وعيادة مرضاهم، والقيام بحقوقهم، ولمّا دخل هذان الفتيان إلى السجن تآلفا به وأحباه حباً شديداً، وقالا له: والله لقد أحببناك حباً زائداً، قال: بارك الله فيكما، إنّه ما أحبني أحد إلا دخل عليَّ من محبته ضرر، أحبتني عمتي فدخل عليّ الضرر بسببها، وأحبني أبي فأوذيت بسببه، وأحبتني امرأة العزيز فكذلك. فقالا: والله ما نستطيع إلا ذلك، ثم إنهما رأيا مناماً فرأى الساقي أنه يعصر خمراً، ورأى الآخر وهو الخباز أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه[1].

فقد استغلّ يوسف عليه الصلاة والسلام هذا الموقف؛ لكونه صاحب هدف سام، ودعوة ربانية، فإنّ الفتيين -لما تقرر عند يوسف عليه الصلاة والسلام أنهما رأياه بعين التعظيم والإجلال، وأنه محسن معلم- ذكر لهما أنّ هذه الحالة، التي أنا عليها، كله من فضل الله وإحسانه؛ حيث منَّ عليّ بترك الشرك، وباتباع ملة آبائي، فبهذا وصلت إلى ما رأيتما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكت.

ثم صرّح لهما بالدعوة: أأرباب عاجزة ضعيفة، لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي ولا تمنع وهي متفرقة، ما بين أشجار، وأحجار، وملائكة، وأموات، وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون، أم من له صفات الكمال في ذاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك، بل هو القهار الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/٥٢٣ وما بعدها.

ومن المعلوم أنَّ من هذا شأنه ووصفه، خيرٌ من الآلهة المتفرقة التي هي مجرد أسماء، لا كمال لها، ولا فعال لديها[1].

وعلى هذا فإنّ الداعية ينبغي أن يكون على أهبة تامة لبذر الدعوة كلّما واتته فرصة، وأن يحرص تمام الحرص على الابتعاد عن تضييع أي مناسبة صالحة لتقديم جهد مقدور لخدمة الإسلام[2].

٣- ترتيب الأولويات:

يحسن بالداعية أن يعنى بالأهم فالمهم فالأقلّ أهمية، يتضح ذلك جلياً في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **(أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلامِ نَزَلَ الْحَلالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لا تَزْنُوا لَقَالُوا لا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا)**[3].

ولقد أشارت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى الحكمة في ترتيب التنزيل، وأنَّ أول ما نزل من القرآن: الدعوة إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام[4].

وينبغي أن يعنى الداعية بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به، ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقرّ في القلوب، واستجابت له النفوس، انتقل إلى ما هو دون ذلك من أمور، متأسياً برسول الله ﷺ حينما أنفق ثلاث عشرة سنة من عمره في معالجة قضايا العقيدة، وبعض العبادات، لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو فرع من

---

(١) للاستزادة انظر: صفات الداعية، للمؤلف ١٠٥ وما بعدها.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق ٣٩٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن ٦/١٢٢-١٢٣ رقم ٤٩٩٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٩/٤٠.

السلوك العملي، وهذا الأمر يتجلى في وصية النبي الكريم ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، حين بعثه إلى اليمن، فقال له: (**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ**)(١).

لقد وضح رسول الله ﷺ الأولويّات في حديثه الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ**)(٢).

والداعية الحكيم هو الذي يراعي الأولويات من جهة، ويراعي عدم ملالة الناس من جهة أخرى، عن شقيق قال: كنّا جلوساً عند باب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ننتظره، فمرّ بنا يزيد بن معاوية النخعي فقلنا: أعْلِمْه بمكاننا، فدخل عليه، فلم يلبث أن خرج علينا عبدالله رضي الله عنه فقال: إنّي أخبركم بمكانكم، فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملّكم، إن رسول الله ﷺ (**كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا**)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة ٢/١٣٣ رقم ١٣٩٥، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/٥٠ رقم ١٩، وللاستزادة انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، للمؤلف ٥٨٦ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان ١/١٠ رقم ٩، وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: الإيمان، باب: عدد شعب الإيمان، وأفضلها، وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان ١/٦٣ رقم ٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/٢٩ رقم ٦٨، وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: الاقتصاد في الموعظة ٤/٢١٧٢ رقم ٢٨٢١.

وتقول عائشة رضي الله عنها لابن أبي السائب -قاص أهل المدينة-: (قُصَّ عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ أَبَيْتَ فَثِنْتَيْنِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَثَلاثًا فَلا تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْكِتَابَ وَلا أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ وَلَكِنْ اتْرُكْهُمْ فَإِذَا جَرَّءُوكَ عَلَيْهِ وَأَمَرُوكَ بِهِ فَحَدِّثْهُمْ)[1].

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فإنه كان يركّز في دعوته -وخاصة مع المدعوّين الجدد- على العناية بترتيب الأولويّات.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ قَالَ صَدَقَ قَالَ فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ قَالَ اللَّهُ قَالَ فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا قَالَ صَدَقَ قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا قَالَ صَدَقَ قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا قَالَ صَدَقَ قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا قَالَ صَدَقَ قَالَ ثُمَّ وَلَّى قَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ)[2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢١٧/٦ رقم ٢٥٨٦٢، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره ٢٠/٤٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: السؤال عن أركان الإيمان ٤١/١-٤٢ رقم ١٢، وللاستزادة انظر: صفات الداعية، للمؤلف ١٠٩ وما بعدها.

٤- المخاطبة على قدر الفهم:

من لوازم الداعية أن يعنى بمخاطبة الناس على قدر فهمهم وثقافتهم، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)[(١)].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (مَا أَنْتَ مُحَدِّثًا قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً)[(٢)].

وهذا الإمام الشافعي رحمه الله يقول: "لو أنّ محمد بن الحسن كان يكلّمنا على قدر عقله ما فهمنا عنه، ولكنّه كان يكلّمنا على قدر عقولنا فنفهمه"[(٣)].

ونقرأ في سنة رسول الله ﷺ أنّ جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ في صورة رجل من الصحابة هو دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه[(٤)]؛ ليختصر المسافة الشاسعة بين صورة الملك العظيمة في الخلقة، وبين صورة الإنسان، ليتسنى للناس أن يأنسوا به، ويقتربوا منه، وبالتالي ليفهموا ما يقول.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (كَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ)[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ٤٦/١ رقم الباب ٤٩.

(٢) أخرجه مسلم في: المقدمة، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع ١١/١ رقم ٥.

(٣) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي ١٦٥/٢.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي ٥٥٠/٢-٥٥٦، الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٤٩/٤-٢٥١، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٤٧٣/١-٤٧٤.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٠٧/٢ رقم ٥٨٥٧، وقال العلامة: أحمد شاكر: إسناده صحيح ١٣٢/٨.

إن الدعوة إلى الله ينبغي أن تُعرض على نحو يوائم طباع الناس، وباللغة التي يفهمونها، على لسان رجل منهم، يخاطبهم بما يلامس أفئدتهم ويوافق أغراضهم؛ لتحقيق الغاية من وجودهم(١).

فعندما أراد رسول الله ﷺ قومه ببلاغ دعوته صعد على الصفا، ثم نادى: (يا صباحاه)، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسوله.

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤]، ورهطك المخلصين(٢) خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف (يا صباحاه)، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد فاجتمعوا إليه، فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدّقيّ؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال: فقال أبو لهب: تباً لك أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾[المسد: ١-٥].

ومع أن هذه الكلمة: (يا صباحاه) اصطلاح جاهلي، وعرفٌ إسلامي، إلا أنّ رسول الله ﷺ خاطبهم باللغة التي يألفونها، وليس ذلك من المداهنة في شي، هي من مخاطبته الناس بما يعرفون، بل هي دليل على استخدام الأسلوب المناسب في الدعوة، ومن باب مخاطبة الناس على قدر فهمهم وتفكيرهم وعادتهم.

---

(١) انظر: نحو أسلوب أمثل للدعوة الإسلامية، د. محمود عمارة ٢٧٣.

(٢) قال الإمام النووي: الظاهر أنّ هذا كان قرآناً أنزل ثم نسخت تلاوته، ولم تقع هذه الزيادة عند البخاري، شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ٣/٨٢.

إنها كانت صيحة القوم في ساعة الخطر، وكانت تصحب هذه الكلمة تصرفات جاهلية لا يقرّها الإسلام، فقد كانوا يجدعون أنوفهم، ويتجردون من ثيابهم، ويحوّلون رحالهم، ويشقّون قمصانهم(١).

إلا أنّ رسول الله ﷺ لم يتابعهم في بقيّة ما اعتادوه في مثل هذه الظروف، فلم يشقّ قميصه، ولم يجدع أنف بعيره، لكنّه ﷺ: استعمل الطريقة فقط، بالقدر اللازم لجمع الناس، يعني بمقدار، وإلى حين.

وممّا جاء في سيرة النبي ﷺ ويدلّ على مخاطبة الناس على قدر الفهم ما جاء عن الأسود بن يزيد النخعي قال: قال لي ابن الزبير: كانت عائشة رضي الله عنها تسر لك كثيراً، فما حدثتك في الكعبة؟ قلت: قالت لي: قال النبي ﷺ: (**يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ قَالَ -ابْنُ الزُّبَيْرِ بِكُفْرٍ- لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ**)(٢).

ويكون الداعية غير مسدّد وموفق حين يكون في بيئة لا يعرف أهلها شيئاً من أمور دينهم، فيأتي إليهم ليحدّثهم عن الماديّة الجدليّة، أو الوجوديّة، مما لم يسمعوا به، ولم تبلغه عقولهم، أو يأتي إلى مجموعة لا تؤمن بكروية الأرض مثلاً فيسفّه أحلامهم، ويرميهم بالجهل المطبق، والضلال المبين.

---

(١) وردت بعض هذه الأمور في وصف: ضمضم الغفاري حين أرسله أبو سفيان إلى مكة، انظر: السيرة النبوية، ابن كثير ٢/٣٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من ترك بعض الأخبار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشدّ منه ١/٤٦ رقم ١٢٦، وأخرجه مسلم في كتاب: الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها ٢/ ٩٦٨ رقم ١٣٣٣، وأخرجه النسائي في كتاب: الحج، باب: الكعبة، صحيح سنن النسائي، الألباني ٢/٦١٠ رقم ٢٧١٨.

إنَّ عليه في مثل هذه الحالة أن يتحدَّث إليهم في التوحيد، ومكارم الأخلاق، وأحكام العبادات مما هو أهمّ، ومِمّا تبلغه عقولهم، ثم بعد ذلك يتدّرج بهم شيئاً فشيئاً، حتى يصل معهم إلى نهاية المسار، لينقلهم إلى الإقرار بحقائق العلم الحديث التي لا تتعارض مع حقائق الدين[(1)].

ينبغي أن يراعي الدعاة في حديثهم إلى الناس بين العالم والجاهل، وبين الأمّي والمتعلم، والحضري والريفي[(2)].

(١) انظر: كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ٣٩ وما بعدها.

(٢) انظر: الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبدالعزيز ١٨١ وما بعدها.

الفصل الرابع

وسائل الدعوة وأساليبها

المبحث الأول: التعريف بالوسائل والأساليب

المبحث الثاني: أبرز وسائل الدعوة

المبحث الثالث: أبرز أساليب الدعوة

المبحث الأول

التعريف بالوسائل والأساليب

أولاً: التعريف بالوسائل:

١- الوسائل في اللغة:

قال الجوهري: الوسيلة: ما يتقرّب به إلى الغير، والجمع: الوسيل والوسائل.

والتوسيل والتوسّل واحد، يقال: وسَّل فلانٌ إلى ربه وسيلة، وتوسَّل إليه بوسيلة، أي: تقرَّب إليه بعمل.

والتوسيل والتوسّل أيضاً: السرقة، يقال: أخذ فلان إبلي توسُّلاً، أي: سرقة. والواسل: الراغب إلى الله[١].

وقال ابن فارس: الواو والسين واللام: كلمتان متبيانتان جدّاً.

الأول: الرغبة و الطلب، يقال: وسل إذا رغب، والواسل الراغب إلى الله عز وجل، ومن ذلك القياس: الوسيلة.

والأخرى: السرقة، يقال: أخذ إبله توسُّلاً[٢].

وقال فيروز آبادي: الوسيلة والمواسلة: المنزلة عند الملِك، والدرجة والقربة.

ووسّل إلى الله تعالى توسيلاً، عمل عملاً تقرَّب به إليه، كتوسَّل[٣].

وقال ابن منظور: الوسيلة: هي الوصلة والقربى، وجمعها: الوسائل، ومنه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾[الإسراء: ٥٧].

والوسيلة: ما يتقرّب به إلى الغير[٤].

وقال الرازي: الوسيلة: ما يتقرّب به إلى الغير، وتوسّل إليه بوسيلة إذا تقرّب إليه بعمل[٥].

---

(١) الصحاح، الجوهري، "مادة: وسل" ١٤٩٧/٤ وما بعدها.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، "مادة: وسل" ١١٠/٦.

(٣) القاموس المحيط، فيروز أبادي، "مادة: وسل" ٨٦/٤.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، "مادة: وسل" ٧٢٤/١١ وما بعدها.

(٥) مختار الصحاح، الرازي ٧٢١.

٢- الوسائل في القرآن والسنة:

وردت كلمة الوسيلة في القرآن الكريم في موضعين هما:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧].

وهي بمعنى: القربة والمنزلة التي ينبغي أن تطلب.

كما وردت الوسيلة في السنة النبوية في أربعة مواضع هي:

- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**من قال حين يسمع النداء: اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**)[(١)].

- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: (**إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**)[(٢)].

- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (**لَقَدْ عَلِمَ الْمَحْفُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ مِنْ أَقْرَبِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسِيلَةً**)[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، باب: الدعاء عند النداء ١/١٧١-١٧٢ رقم ٦١٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة ١/٢٨٨ – ٢٨٩ رقم ٣٨٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٩٥ رقم٢٣٣٩٨، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح ٣٨/٣٧٣.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب، فقال: (**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ**)[١].

ومعنى الوسيلة في هذه الأحاديث بمعنى الدرجة العالية الرفيعة في الجنة، وفي الحديث الأخير بمعنى: التقرّب.

٣- الوسائل في الاصطلاح:

قال الدكتور عبدالكريم زيدان: وسائل الدعوة: هي ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة على نحو نافع مثمر[٢].

وقال الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني: وسائل الدعوة: هي ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية[٣].

وقال الدكتور حمدان الهجاري: وسائل الدعوة: هي كل ما يستخدمه الداعية لإيصال ما يريد إيصاله إلى المدعوين سواء ما كان منها قديماً أو حديثاً[٤].

وقال الدكتور عبدالله الحوشاني: وسائل الدعوة: هي ما يستعمله الداعية من إمكانات يوصل بها الدعوة إلى المدعوين وغالباً تكون حسية[٥].

وقال الدكتور عبدالرحيم المغذوي: وسائل الدعوة: هي ما يتوصل به إلى دعوة الناس بطريق شرعي صحيح[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ٢/ ٢٠ رقم ١٠١٠.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٤٤٧.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني ٤٩.

(٤) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان راجح الهجاري ٤٧٨.

(٥) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله الحوشاني ٢/ ٥٤٢.

(٦) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ١٦.

وقال الدكتور سيد محمد الشنقيطي: الوسيلة في الدعوة: هي القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس[1].

وأقول بأنَّ وسائل الدعوة هي:

الأوعية التي تحمل فيها الدعوة لجذب الآخرين إلى طريق الخير.

ثانياً: التعريف بالأساليب:

١- الأساليب في اللغة:

قال الجوهري: سلبت الشيء سلباً، والاستلاب: الاختلاس، والأُسلوب بالضم: الفن، يقال: أخذ فلانٌ في أساليب من القول، أي: في فنون منه[2].

وقال ابن فارس: "سلب" السين واللام والباء أصلٌ واحد، وهو أخذ الشي بخفَّة واختطاف، يقال: سلبته ثوبه سلباً[3].

وقال فيروز آبادي: السليب هو المستلب العقل، والأسلوب: الطريق[4].

وقيل: إنّ الأساليب، هي: العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ وإزالة العوائق عنه[5].

وقيل: إنّ الأساليب هي: الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته، أوكيفية تطبيق مناهج الدعوة[6].

---

(١) ركائز الدعوة في دعوة إبراهيم عليه السلام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي ٤٣.

(٢) الصحاح، الجوهري، "مادة سلب" ١٣٤/١.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ٩٢/٣.

(٤) القاموس المحيط، فيروز آبادي ٢٢٤/١ وما بعدها.

(٥) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٤١١.

(٦) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني ٤٧.

وقيل: إنّ الأساليب هي: ا لكيفيّات التي يتم بها أداء الدعوة، وتبليغها من الأمور المعنوية الفنية، وأنواع المسالك التأثيرية، وهي في الغالب غير حسية[1].

وأقول بأنّ الأساليب هي: القوالب والأشكال والكيفيّات التي تعرض فيها الدعوة.

(١) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله الحوشاني ٢/٥٤٣.

المبحث الثاني

أبرز وسائل الدعوة

أولاً: الخطب

ثانياً: المحاضرات والندوات

ثالثاً: الدروس

رابعاً: التأليف

أولاً: الخطب:

الخطب من أهم الوسائل؛ لأن الخطبة وسيلة مباشرة لتبليغ الرسالة وإيضاح فكرة معينة، ومن مرامي الخطبة، حمل المخاطب على الإذعان والتسليم، وإثارة العواطف الجياشة في نفس المخاطب، وتكمن الاستجابة للخطبة إذا كانت ذات دلائل منطقية وبراهين عقلية، ومؤثرات عاطفية ووجدانية(١).

وإنّ من أهم المواصفات التي تجعل الخطبة وسيلة دعوية ناجحة ما يلي:

١- وحدة الموضوع وشموله.

٢- سلامة اللغة

٣- البعد عن إثارة الخلافات بين الناس.

٤- ارتباط الخطبة بحياة الناس وواقعهم.

٥- قصر الخطبة(٢).

وتعتبر خطبة الجمعة من وسائل نشر الدعوة العامة؛ لأنها تعنى بمخاطبة مجموعة كبيرة من الناس على اختلاف مستوياتهم الإيمانية والعقلية والفكرية والثقافية السلوكية، وتباينهم في الاستقامة والتقوى والورع والاستجابة والتأثير لما يقوله الخطيب، إضافة إلى تعدد مشكلات المخاطبين واختلاف قضاياهم.

وخطبة الجمعة فرصة سانحة متكررة للتأكيد على عدد ضخم من الناس، يأتون راغبين غير راهبين ولا مجبرين، ودعوتهم وفق منهج مدروس ومتسلسل ومتكامل. ولما للخطبة الدينيَّة لهذه الخطبة من أهمية على سلوك الناس والتأثير عليهم في شتى مجالات حياتهم، فقد اهتم الإسلام بها، حيث وردت نصوص من السنة النبوية المطهرة تتحدث

---

(١) انظر: الدعوة إلى الله "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الداعي ٢٧١.

(٢) انظر: إرشادات لتحسين خطبة الجمعة، د. محمد عبدالقادر أبو فارس ٣٣ وما بعدها.

عنها وعن ضرورة الإنصات إلى الخطيب وهو يخطب ومنها على سبيل المثال: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ)[1].

وما رواه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ أَنْصِتْ لَيْسَ لَهُ جُمُعَةٌ)[2].

ثانياً: المحاضرات والندوات:

من الوسائل الدعوية: المحاضرة والندوة.

فالمحاضرة هي: بحث في موضوع يلقيه المحاضر في مجمع من الناس.

والندوة هي: بحث في موضوع يلقيه عددٌ من المنتدين في مجمع من الناس[3].

والمحاضرة والندوة تعالجان موضوعات معينة محدّدة باستقصاء وإحاطة ودراسة الموضوع المقصود من جميع جوانبه، وللاستشهاد عليه بالأدلة والبراهين والأمثلة والقصص والشواهد، ولهذا فإنه يفضل مراعاة الداعية حال قيامه بنشاط دعوي في محاضرة أو ندوة النقاط التالية:

١- أهمية اختيار الموضوع ومدى ملاءمته للمخاطبين.

٢- الحرص على الاستشهاد بنصوص الوحي من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية على المادة المطروحة والاجتهاد الدقيق في سلامة الاستنباط من هذه النصوص.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: في الإنصات يوم الجمعة في الخطبة ٢/٥٨٣ رقم ٨٥١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٢٣٠ رقم ٢٠٣٣، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده حسن ٣/ ٣٢٦، وللاستزادة انظر: إرشادات لتحسين خطبة الجمعة، د. محمد عبدالقادر أبو فارس ٣١ وما بعدها.

(٣) انظر: الدعوة إلى الله "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الواعي ٢٨٣.

٣- الابتعاد عن العرض الجاف، أو العرض العامي المتهالك.

٤- الاهتمام بجمهور المحاضرة أو الندوة؛ لأنهم ينتمون إلى شريحة ثقافية متقدمة غالباً، وقد جاءت مختارة مضحية بوقتها للإفادة من المادة المطروحة أومن المتحدث.

٥- ضرورة الإعداد العلمي الجيد المتقن لمضمون المحاضرة أو الندوة؛ لأن ذلك يعكس أثراً حسناً على ذات الداعية وسلوكاً حميداً لنفسيات المستمعين.

٦- استخدام وسائل العرض الحديثة ما أمكن؛ لأنه أبلغ في التأثير، ومحاولة إشراك الحضور بمقدار في مداخلة أو تعقيب أو إجابة لسؤال...الخ؛ لإبعاد السآمة عنهم، وإدخال روح التفاعل والحيوية عليهم.

ثالثاً: الدروس:

من الوسائل الدعوية: الدروس.

والغالب في الدرس أن يكون شرحاً لآية من القرآن الكريم، أو لحديث شريف من السنة النبوية المطهرة، أو بياناً لمسألة أو مسائل من أحكام العقيدة أو الفقه أو السلوك، كما أنَّ الغالب في الدرس أن يحضره عددٌ قليل من الناس، جاؤوا قاصدين سماع الدرس، مما يعطي فرصة طيبة للداعي أن يتعرف عليهم عن كثب، ويوثق علاقته بهم، ويشترط للداعي في درسه أن يحضّر مادّته مسبقاً تحضيراً جيداً، وأن لا يستطرد كثيراً في إلقاء موضوعه؛ لأن الاستطراد يبعد السامع عن أصل الموضوع ويبعث في نفسه السآمة.

وفي تفسير القرآن الكريم، يستحسن أن يكون بالقرآن نفسه، فما أجمله القرآن في موضع فصَّله في موضع آخر، فإن لم يجد هذا البيان في القرآن تحوَّل إلى السنَّة النبوية، فإن لم يجد ففي أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين، ولعل الداعية في تدريسه يعتمد على تفسير معتمد عند أهل العلم، كجامع البيان للطبري، أو تفسير القرآن العظيم لابن كثير وما أشبهها، وكذلك يفعل في شرحه للأحاديث النبوية، أو إيضاحه لبعض

المسائل الفقهية، فما أحسن أن يعتمد على كتاب علمي موثوق في بابه، ثم يضيف عليه أو يعلق عليه وما أشبه ذلك[1].

والدرس الذي يقوم به الداعية وسيلة إلى إيضاح المعاني وترسيخها في الذهن، وبحث الأفكار وبيان صحتها ومقدار ما فيها من صواب أو خطأ.

كما أن الدرس فرصة للأسئلة المختلفة التي تحيط بجوانب الموضوع وما يتعلق به، فهو فرصة للمدعو ليعلم مقدار إخلاص الداعية وصواب دعوته ومقدار علمه وتمكنه وإحاطته، وفرصة للداعية أن يوضح فكرته، ويكتشف رأي من أمامه ومدى قناعته، كما يستطيع على مهل أن يزيل شبهته وأن يبعد شكوكه.

ومّما ينبغي على الداعية: التحضير الجيد لمادة درسه والتوجّس لطرح عدد من الأسئلة عليه، وعليه عدم الدخول في الجدل العلمي الممقوت[2].

رابعاً: التأليف:

من الوسائل العلمية المهمَّة التي يحسن بالداعية الموفّق أن يعنى بها تخصيص وقت كافٍ للتأليف إذا بلغ رتبة مناسبة في العلم والفهم، ويركز في تأليفه على ما تدعو الحاجة إليه، مستفيداً من كلّ ما له صلة بالموضوع ذاته من أقوال علماء الأمة المتقدمين أو المتأخرين، ومعتمداً قبل ذلك على النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية وفهم السلف الصالح لها.

إنَّ من صور تبليغ العلم: الدعوة إليه من خلال نشره وتبليغه، خاصة إذا ما كان الموجب له قائماً، وقد نهى الإسلام عن كتم العلم وعدم تبليغه ونشره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٤٧٦ وما بعدها.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الواعي ٢٨١ وما بعدها.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠].

وعناية الداعية بتدوين ما امتنَّ الله عليه به من علم في مؤلفات وصياغتها بأسلوب يصلح لمن كتبت لـه، يجعل النفع بها دائماً ومستمراً ما شاء الله ذلك، والكتاب سجلٌ حافظ لفكر الداعية وعلومه وتجاربه، وباب خير للغير، ويفاد من الكتاب على مرّ أجيال وعصور متلاحقة، وقد فتح باب قبول لبعض المؤلفات فطبعت عشرات الطبعات وبعشرات من اللغات، وبآلاف من النسخ، ككتاب رياض الصالحين للإمام النووي – رحمه الله- وقد عرَف علماء الإسلام السابقين –رحمهم الله- أهمية التأليف ومكانته من بين الوسائل العلمية في مجال الدعوة، فكتبوا كتابات علميَّة رصينة مميزة وفي مجالات مختلفة فنفع الله بها العباد، ولا يزال النفع قائماً إلى ما لا يعلم مداه إلا الله عز وجل، ومن أولئك الفرسان والدعاة العلماء الأفذاذ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية –رحمه الله- فقد بلغت مؤلفاته خمسمائة مؤلف[1].

وقد استطاع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد –جزاهما الله خيراً- جمع بعض هذه المؤلفات فطبعوها في موسوعة تحت عنوان "مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية" بلغت سبعاً وثلاثين مجلداً، يبلغ كل مجلد ما يقرب من خمسمائة صفحة، وقد استفاد من هذه المؤلفات أجيال وأجيال.

وهكذا صنع تلميذه العلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية –رحمه الله- في التأليف المتميِّز كماً وكيفاً، فقد تتبع معالي الشيخ بكر أبوزيد –حفظه الله- ما ذكره من ترجم لابن القيم وما نسب له مع حذف المكرر فظهر له أنها بلغت ستاً وتسعين مؤلفاً، هذا من غير ما لم يستطع الوقوف عليه مما كتبه –رحمه الله- منها ما هو مجلد، ومنها ما

(١) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية "إمام السيف والقلم"، سعد صادق محمد ٢٢١.

هو مجلدان، وثلاثة، وأربعة، وسبعة مجلدات، وتنوعت في مختلف الفنون في التفسير والعقيدة والحديث والسيرة واللغة والأدب والتربية والزهد والعلوم الكونية والطب وغيرها[1].

وجاءت وسائل الاتصال الحديثة لتخدم عملية نشر الكتاب وتوصله إلى الناس بطريقة سهلة وميسورة، فتم إدخال مئات من الكتب العلمية عبر أقراص ممغنطة، فتجد أن قرصاً واحداً ربما اشتمل على أكثر من مائة مجلد بكاملها، ويستطيع المستفيد التنقل بين صفحات هذه الكتب في لحظات يسيرات عبر جهاز الحاسب الآلي، كل ذلك فضل من الله تعالى، وعلى هذا فإنه ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى أن يولوا هذا الأمر جُلَّ عنايتهم لما فيه من الفائدة المتعدِّية والنفع الكبير لعامة الناس.

(١) انظر: ابن قيم الجوزية حياته وآثاره، معالي الشيخ: بكر بن عبدالله أبو زيد ١١٤ وما بعدها.

المبحث الثالث

أبرز أساليب الدعوة

١- أسلوب الدعوة بالحكمة

٢- أسلوب الدعوة بالموعظة الحسنة

٣- أسلوب الدعوة بالمجادلة بالحسنى

إن حصر الأساليب الدعوية أمرٌ صعبٌ نظراً لتنوّعها وكثرتها، وقد نصّ القرآن الكريم على بعضها نصاً صريحاً مباشراً، كما أشار إلى بعضها إشارة، وعلى هذا النسق جاءت السنة النبوية المطهرة، فمن أساليب الدعوة الرئيسة والتي نصّ عليها القرآن الكريم:

- أسلوب الدعوة بالحكمة.
- أسلوب الدعوة بالموعظة الحسنة.
- أسلوب الدعوة بالمجادلة بالحسنى.

كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[النحل: ١٢٥] [1].

١- أسلوب الدعوة بالحكمة:

الحكمة في اللغة:

عرّف علماء اللغة الحكمة بتعريفات عديدة تدور حول معنيين هما:

أ- المنع للإصلاح؛ لأنّها تمنع صاحبها من الوقوع فيما يذم.

ب- الإتقان؛ لأنها تدل على الإحكام والتوثّق.

وعلى المعنى الأول:

قال ابن فارس: الحاء والكاف والميم، أصل واحد وهو: المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم... ويقال: حكمْتُ السفيه، إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا؛ لأنها تمنع من الجهل [2].

ادة انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، للمؤلف ٣١ وما بعدها.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ٢/٩١ "مادة: حكم".

وعلى المعنى الثاني:

يقال أحكم الشيء أي: أتقنه فاستحكم صار محكماً، والمُحْكَم: هو المتقن، ومنه قولهم للرجل إذا كان حكيماً: قد أحكمته التجارب، والمحكَّم: هو الشيخ المجرِّب المنسوب إلى الحكمة، وسمي بذلك: لإتقانه للأمور ومعرفته للصواب بطول الخبرة والتجربة[(1)].

الحكمة في الاصطلاح:

قال الأصفهاني رحمه الله: الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات، وفعل الخيرات[(2)].

وقال ابن القيم رحمه الله: الحكمة: فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي[(3)].

وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الحكمة: هي الدعوة إلى الله بالعلم والبصيرة والأدلة الواضحة المقنعة الكاشفة للحق والمبيِّنة له، وهي كلمة تطلق على معانٍ كثيرة[(4)].

وقال الدكتور البيانوني: أسلوب الحكمة: هو الأسلوب الذي يضع الشيء في موضعه[(5)].

---

(1) انظر: الصحاح، الجوهري ١٥٤٤/٤ "مادة: حكم"، لسان العرب، ابن منظور ١٤٢/١٢ "مادة: حكم"، القاموس المحيط، فيروز آبادي ١٣٦/٤ "مادة: حكم".

(2) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ١٢٦.

(3) مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ٤٧٩/٢.

(4) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ٢٣.

(5) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني ٢٤٥.

وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والأسلوب الناجح في الدعوة هو الأسلوب الحكيم الذي يكون الداعية من خلاله بصيراً بما يدعو إليه، ولا يعجل ولا يعنف، بل يدعو بالمقال الواضح المصيب للحق من الآيات والأحاديث، أمّا الدعوة بالجهل فهذا يضرّ ولا ينفع؛ لأن الدعوة مع الجهل بالأدلة قول على الله بغير علم، وهكذا الدعوة بالعنف والشدّة ضررها أكثر، وإنّما الواجب والمشروع هو الأخذ بما بيّن الله عز وجل في قوله ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾[النحل: ١٢٥]، إلا إذا أظهر المدعو العناد والظلم فلا مانع من الإغلاظ عليه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[التوبة: ٧٣]، وكما قال تعالى: ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾[العنكبوت: ٤٦][(١)].

(١) انظر: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ٢٥ وما بعدها.

٢- أسلوب الدعوة بالموعظة الحسنة:

الموعظة في اللغة:

أصلها من الفعل الثلاثي : وعظ.

قال ابن فارس : الواو والعين والظاء كلمة واحدة، فالوعظ : التخويف، والعظة : الاسم منه، قال الخليل : هو التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب[(١)].

وقال الرازي : الوعظ هو التذكير بالعواقب، يقال: السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ بغيره[(٢)].

وقال المقرّي : وعظه، يعظه وعظاً، وعظة، أي : أمره بالطاعة ووصّاه بها.

وعليه قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ...﴾[سبأ : ٤٦]، أي : أوصيكم وآمركم، فاتعظ، أي : ائتمر وكفّ نفسه، والاسم : الموعظة، وهو واعظ، والجمع : وعّاظ[(٣)].

الموعظة في الاصطلاح:

قال الجرجاني : الوعظ هو التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب[(٤)].

وقال الأصفهاني : الوعظ : زجر مقترن بتخويف[(٥)].

وقال ابن القيم : الموعظة الحسنة هي : الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب[(٦)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ١٢٦/٦ "مادة: وعظ".

(٢) مختار الصحاح، الرازي ٧٢٩ "مادة وعظ".

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المقرّي ٨٣٢/٢ "مادة: وعظ".

(٤) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٣٠٨.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٥٢٧.

(٦) التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي ٣٤٤.

معالم مهمة في أسلوب الموعظة الحسنة:

الدعية الحصيف هو الذي يراعي حال موعظته لمدعوّيه ما يلي:

١ - اعتمادها على نصوص القرآن الكريم وما صحّ من سنة الرسول الكريم ﷺ.

٢ - اجتهاد الداعية في أن تكون موعظته بليغة مؤثرة.

٣- ضبط مدّة الموعظة بحيث تكون خفيفة لطيفة، لا تملّ منها النفوس.

٤ - ينبغي عناية الداعية بمضمون الموعظة، فتارة لبيان حكم شرعي، وأخرى لإشباع احتياج المدعوين في باب ترغيب أو ترهيب، وثالثة في ضرب قصص وعرض أمثلة تشويقيَّة لتقريب الصورة المثلى في الأذهان، فإن ذلك أدعى للاستجابة والقبول.

٣- أسلوب الدعوة بالمجادلة بالحسنى:

الجدل في اللغة:

قال ابن فارس: الجيم والدال واللام أصل و احد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتداد لخصومة ومراجعة الكلام[(١)].

وقال ابن منظور: الجدل: شدة الفتل، وجدلت الحبل، أجدله جدلاً، إذا شددت فتله وفتلته فتلاً محكماً.

والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالاً، ورجل جدِل، ومِجْدَل، ومِجْدَال: شديد الجِدَال، والاسم: الجدَل وهو شدّة الخصومة، والجدل: مقاومة الحجة بالحجة[(٢)].

الجدل في الاصطلاح:

قال الأصفهاني: الجدال هي: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة[(٣)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون ٤٣٣/١ "مادة: جدل".

(٢) لسان العرب، ابن منظور ١٠٣/١١ وما بعدها "مادة: جدل".

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٨٩.

وقال الدكتور زاهر الألمعي: الجدل هو: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم[1].

وقد ورد الجدل القرآني على ثلاثة أوجه هي:

أ- ما ردّ الله به على الخصوم من الحجج والبراهين، وساقه من الأدلة لتثبيت العقائد، وتقرير قواعد الملّة ممّا جاء على ألسنة رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، وما ألهم الله تعالى به عباده الصالحين من قول بالحق ودفع للباطل.

ب- ما ورد في القرآن بطريق الحوار، والقصد منه الاسترشاد وحبّ الاستطلاع والنظر للعظة والاعتبار، أو الترجّي والدعاء، ومن هذا القبيل: جدل إبراهيم عليه السلام مع ربه حول كيفية إحياء الموتى، وهكذا: جدال الملائكة في خلق آدم عليه السلام، وجدل خولة بنت ثعلبة في زوجها أوس بن الصامت رضي الله عنهما.

ج- ما يأتي على ألسنة الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوى الباطلة التي حكاها القرآن الكريم وبيّن بطلانها وما تنطوي عليه من مفاسد.

وينقسم الجدل إلى قسمين: ممدوح ومذموم.

فالجدال الممدوح: هو كل جدال أيّد الحق، أو أفضى إليه بنيّة خالصة وطريق صحيح، كجدال الأنبياء وأتباعهم، لنصرة الحق وإزهاق الباطل بالحجة والبرهان.

والجدال المذموم: هو كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى إليه كجدال الكفار وأهل الأهواء والبدع والمراء[2].

ويعتبر أسلوب الدعوة بالمجادلة بالحسنى صناعة للرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وإلى دعاة الخير إلى قيام الساعة؛ لأن تغيير العقائد أو الأفكار الهدامة والمنحرفة

---

(١) دراسات في علوم القرآن الكريم، أ.د. زاهر الألمعي ١٠٤.

(٢) المرجع السابق ١٠٤ وما بعدها.

ليس بالأمر السهل، ولذلك أعطى الله سبحانه رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام البيان، وأرسلهم بلغة أقوامهم، ومنحهم القدرة على المخاصمة لكي يردّوا جدل المعارض، ويقنعوا السائل، ويأخذوا بيد الجميع عن طريق المناقشة الحرّة العاقلة إلى برّ الأمان وإلى طريق الرشاد[1].

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها" د. أحمد غلوش ٣٨٢.

الفصل الخامس

كيفية الدعوة باعتبار أصناف المدعوين

المبحث الأول: دعوة المسلمين

المبحث الثاني: دعوة أهل الكتاب

المبحث الثالث: دعوة المشركين

المبحث الرابع: دعوة الملاحدة

إنّ شريعة الإسلام جاءت للإنسان، بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو أرضه، فلا عنصرية في الدعوة، ولا عصبية في هذا التشريع، ولا طبقيَّة في الإسلام[١].

وعالمية رسالة الإسلام من الأمور الواضحة، بل من البدهيَّات الأوليَّة المعروفة لدى عموم الناس، والتي لا تحتاج إلى دليل إلا إذا احتاجت الشمس في بزوغها إلى دليل، ذلك أنه يلزم من كون هذه الرسالة خاتمة النبوات أن تكون عامة للعالمين؛ لأنه لن يبعث بعدها نبي، ومعلوم أن الله تعالى ختم النبوات برسالة محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]، فرسالته إذاً عامة للعالمين[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وكما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨][٣].

وقد عني نبينا محمد ﷺ بدعوة الناس جميعاً إلى دين الإسلام سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، وسواء أكان غير المسلمين من أهل الكتاب أم من غيرهم، وعلى هذا فإنه يحسن بالدعاة إلى الله عدم الاستهانة بأيٍّ أحد من الناس، والاقتداء بالنبي الكريم ﷺ في دعوته لعامة الناس، فلا يستصغر شأن أي إنسان، أو أن يستهين به فلا يدعوه، فإن من حق كل إنسان أن يدعى، وقد يكون هذا الذي لا يقيم له الداعي وزناً سيكون له عند الله وزن كبير بخدمته للإسلام والدعوة إليه[٤].

---

(١) انظر: الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبدالله علوان ١٦.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٤/١٩٦.

(٣) للاستزادة انظر: أساليب الدعوة الإسلامية، للمؤلف ١٨٠ وما بعدها.

(٤) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٣٧٦.

وأصناف المدعوين متعددة من أهمها:

- دعوة المسلمين.
- دعوة أهل الكتاب.
- دعوة المشركين.
- دعوة الملاحدة.

المبحث الأول

دعوة المسلمين

أبان القرآن الكريم أحوال المسلمين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢].

قال ابن كثير رحمه الله: قسّمهم إلى ثلاثة أنواع:

١- الظالم لنفسه، وهو: المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات.

٢- المقتصد، وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك المستحبات، ويفعل بعض المكروهات.

٣- السابق بالخيرات، وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: وهؤلاء كلهم مستعدون للسير موقنون بالرجعى إلى الله، ولكن متفاوتون في التزوّد وتعبية الزاد واختياره، وفي نفس السير وسرعته وبطئه.

فالظالم لنفسه: مقصر في الزاد، غير آخذ منه ما يبلغه المنزل، لا في قدره ولا في صفته، بل مفرط في زاده الذي ينبغي له أن يتزوده، ومع ذلك فهو متزوّد ما يتأذى به في طريقه، ويجد غبّ أذاه إذا وصل المنزل بحسب ما تزوّد من ذلك المؤذي الضار.

والمقتصد: اقتصد من الزاد على ما يبلغه، ولم يشدّ مع ذلك أحمال التجارة الرابحة، ولم يتزوّد ما يضرّه، فهو سالم غانم، لكن فاتته المتاجر الرابحة وأنواع المكاسب الفاخرة.

والسابق بالخيرات: همّه في تحصيل الأرباح، وشدّ أحمال التجارة، لعلمه بمقدار الربح الحاصل، فيرى خسراناً أن يدّخر شيئاً مما بيده، ولا يتجّر به، فيجد ربحه يوم

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٦٠٩.

تغتبط التجار بأرباح تجاراتهم[(١)].

وقال السعدي رحمه الله:

الظالم لنفسه: هو من ظلم نفسه بالمعاصي دون الكفر.

والمقتصد: هو المقتصد على ما يجب عليه، والتارك للمحرم.

والسابق بالخيرات: وهو الذي سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه.

فكلهم اصطفاهم الله تعالى لوراثة هذا الكتاب وإن تفاوتت مراتبهم، وتميّزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه فإن ما معه من أصل الإيمان، وعلوم الإيمان، وأعمال الإيمان، من وراثة الكتاب؛ لأن المراد بوراثة الكتاب، وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه واستخراج معانيه[(٢)].

وإذا ما كانت هذه الأقسام الثلاثة التي أشارت إليها آية سورة فاطر داخلة في نوع المسلم، فإنّ المعرفة الدقيقة لواقع كل صنف لربما صعب على الإنسان معرفتها من جهة، بل إنه ليس مكلفاً بتحقيق هذ المعرفة؛ لأن ذلك من الأحكام التي لا تتعلق بالإنسان، بل هي للخالق سبحانه الذي سيحاسب كلَّ أحد حسب الموافاة والعمل.

ونستطيع القول في دعوة المسلم، بأن المسلم هو أحد اثنين، إمَّا مسلم مهتدٍ، أو مسلم عاصٍ، وكلاهما بحاجة إلى اهتمام الدعاة بهما ومحضهما بالدعوة.

وتتلخص دعوة المسلم المهتدي في محاولة تشجيعه على الاستمرار والمضي على طريق الهداية والاستقامة؛ لما فيه من الخير العاجل والآجل، وتحذيره من التخاذل أو الابتعاد عن طريق الهداية والاستقامة لما في ذلك من الشرّ العاجل والآجل، وتأكيد

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم ٢٣٥ وما بعدها.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق ٦٨٩.

الدعاة على هذا الصنف من المدعوين بأهمية التزوّد من واقع الخير ودرجات الكمال، فإن الجنة مائة درجة وتكون منزلة المسلم فيها بحسب استقامته وثباته مع توفيق الله عز وجل وكامل فضله وإحسانه.

كما تتلخص دعوة المسلم العاصي في استكشاف الدعاة لسبب معصية المدعو، فهل الدافع لها الجهل بحكمها، أم لضعف الإيمان وغلبة الشهوة، وتكون معالجة الدعاة لهذه الآفة التي عليها المسلم العاصي بإيضاح الحكم الشرعي فيها، أو بتقوية دوافع الإيمان وجواذبه في نفس الإنسان، فإنه كلّما قوي الإيمان ارتفع الإنسان عن شهوات النفس وحظوظها وملذاتها وحبائل الشيطان ومغرياته.

وينبغي أن ينظر الدعاة إلى العصاة من المسلمين نظرة شفقة ورحمة، لا ترفّع وإباء، كما ينبغي على الدعاة أن لا يعينوا الشيطان على هؤلاء العصاة، بل عليهم أن ينقذوهم من الوقوع في درك المعصية وتعاسة المنكر وظلمة السيئة.

وإن مّما ينبغي التأكيد عليه حيال دعوة المسلم أمور من أهمها:

١- أهمية استشعار الداعية أنَّ ثمة قاعدة مشتركة فيما بين الداعية والمدعو، وهي أنهما مسلمان.

٢- اجتهاد الداعية على الاستشهاد بنصوص الوحي من القرآن الكريم، والسنة لنبوية المطهرة، والإفادة من روح ومعاني النصوص العطرة وفق فهم سلف الأمة الصالح رضوان الله عليهم.

٣- انطلاق الداعية في دعوته للمسلم من وحدة الآمال والآلام.

٤- اهتمام الداعية وعنايته بأحوال المدعو، وترقّيه في درجات الكمال من الإسلام والإيمان والإحسان.

٥- التركيز على أن سعادة الأمة تكمن في قربها من دينها، وتمسّكها به، واعتزازها بالانتساب إليه حيث هو الدين الخاتم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الناس ثلاثة أقسام:

إمّا أن يعترف بالحق ويتبعه، فهذا صاحب الحكمة.

وإما أن يعترف به لكن لا يعمل به، فهذا يوعظ حتى يعمل.

وإمّا أن لا يعترف به فهذا يجادل بالتي هي أحسن؛ لأن الجدال فيه مظنّة الإغضاب، فإذا كان بالتي هي أحسن حصلت منفعته بغاية الإمكان[1].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن قاسم ٢/٤٥.

المبحث الثاني

دعوة أهل الكتاب

أهل الكتاب هم: الذين لم يؤمنوا برسول الله محمد ﷺ من أهل الديانات السابقة: كاليهود والنصارى، وسمّوا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة، وخصّوا بهذا الوصف وإن وقع كثيرٌ منهم في الشرك والوثنية باعتبار الأصل كما خصهم الله بعدد من الأحكام[1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى كيفية دعوة أهل الكتاب لتكون بالمجادلة بالحسنى وبالقول اللين الجميل؛ لأنه أقرب طريق إلى قبولهم للحق كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[العنكبوت: ٤٦].

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب بأن ظهر من قصده وحاله أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله؛ لأن المقصود منها ضائع، ولتكن المجادلة على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أنّ الإله واحد، ولا تكن مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجميع ما معهم من حق وباطل، فهذا ظلم وخروج عن الواجب وآداب

(١) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبوالفتح البيانوني ١٧٩.

النظر، فإن الواجب أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله ولو كان كافراً[1].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[آل عمران: ٦٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذا الخطاب يعّم أهل الكتب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾، والكلمة تطلق على الجملة المفيدة، كما قال ههنا، ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦][2]. وقد أمر الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام أن يذهبا إلى فرعون ويدعواه بالحسنى والقول اللين، كما قال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[طه: ٤٣-٤٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق ٦٣٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٣٩٨.

وإنَّ مما ينبغي التأكيد عليه حال دعوة أهل الكتاب أمور من أهمها:

١- العناية بالقضايا العقدية المشتركة فيما بين الداعية المسلم والمدعو الكتابي والتي منها:

أ- التأكيد على إثبات مبدأ الألوهية.

ب- التأكيد على إثبات مبدأ النبوة.

ج- التأكيد على إثبات عقيدة اليوم الآخر.

٢- الانتقال بعد ذلك إلى تقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة والتي دعت إلى:

أ- توحيد الألوهية.

ب- إثبات رسالة محمد ﷺ وأنه خاتم الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ج- إثبات أنَّ الشريعة الإسلامية ناسخة لما سواها من الديانات السماوية، والمذاهب الوضعية.

٣- مراعاة دعوة أهل الكتاب بالتدرّج وعدم أخذهم دفعة واحدة، يدل عليه وصية النبي الكريم ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن فقال له: (**إِنَّكَ أَتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ**)[١].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة ٢/١٣٣ رقم ١٣٩٥، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/٥٠ رقم ١٩.

المبحث الثالث

دعوة المشركين

الشرك هو: جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته، والغالب: الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة، كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة[1].

والشرك أعظم الذنوب وذلك لأمور:

١- لأنه تشبيه للمخلوق في خصائص الألوهية، فمن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها وذلك أعظم الظلم.

٢- أنَّ الله أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٣- أن الله أخبر أنه حرَّم الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

٤- أن الشرك يحبط جميع الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

٥- أن المشرك حلال الدم والمال، قال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥].

٦- أن الشرك أكبر الكبائر، عن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ

---

(١) التوحيد، معالي أ. د. صالح بن فوزان الفوزان ٩.

الْوَالِدَيْنِ...)[1].

٧- أن الشرك تنقص وعيب نزه الرب سبحانه نفسه عنهما، فمن أشرك بالله فقد أثبت لله ما نزه نفسه عنه، وهذا غاية المحادَّة لله تعالى، وغاية المعاندة والمشاقة لله[2].

ولهذا فقد اجتهد نبي الرحمة محمد ﷺ في دعوة الناس جميعاً إلى التوحيد، ونبذ العقائد الفاسدة التي تقوم على الشرك والوثنيَّة، ومكث على ذلك ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو الناس إلى عقيدة التوحيد ومحاربة الشرك في نفوس الناس، واستمر على ذلك بعد هجرته إلى المدينة، وأصبحت الدعوة إلى التوحيد من سمات الدعوة الناجحة، والمنهج السديد، وستبقى كذلك إلى قيام الساعة إن شاء الله، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي (يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)[3]. والشرك أعظم ما نهى الله عنه كما أنّ التوحيد أعظم ما أمر الله به[4].

المشركون يقرّون بوجود الرب ويثبتون الربوبية ولكنّهم لا يقرّون بتوحيد الألوهية، بل تعجبوا من دعوة محمد ﷺ إلى التوحيد الخالص قائلين حسب ذكر القرآن الكريم عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[ص: ٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر ٩٣/٧ رقم ٥٩٧٦.

(٢) انظر: التوحيد، معالي أ. د. صالح الفوزان ٩ وما بعدها، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ بن أحمد حكمي ٤٤٠/١ وما بعدها.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ٥٨/١ رقم ٣٠.

(٤) للاستزادة انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ بن أحمد حكمي ٤٤٠/١ وما بعدها.

والمشركون لا يعتقدون مشاركة الأصنام لله في الخلق، بل يعتقدون قدرتها على الشفاعة، وأنها تقربهم من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[يونس: ١٨]، وكما قال تعالى واصفاً حالهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[الزمر: ٣].

ومما يتأكد بيانه والعناية به في دعوة المشركين أمور منها:

١- انطلاق الدعاة في دعوة المشركين إلى أنهم يثبتوا مبدأ وجود إله.

٢- احتجاج الدعاة على المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية وإلزامهم بالإقرار بتوحيد الألوهية؛ لأن توحيد الربوبية متضمن لتوحيد الألوهية كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾[الأنعام: ٤٠-٤١].

٣- عقد المقارنة بين التوحيد في القصد والتوجه في العبودية أم التعدد في ذلك، ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[يوسف: ٣٩-٤٠].

٤- إبراز جانب المتقابلات ومكامن قوى كل طرف، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[النحل: ١٧].

٥- إبراز جانب التمانع، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الأنبياء: ٢٢].

٦- اطراح التقليد الأعمى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة: ١٠٤].

٧- إبراز معجزات النبي الخاتم محمد ﷺ وصدق نبوته وصحة رسالته.

المبحث الرابع

دعوة الملاحدة

الإلحاد في اللغة:

قال ابن فارس: اللام والحاء والدال، أصل يدلّ على ميل عن استقامة.

يقال: ألحد الرجل، إذا مال عن طريق الحق والإيمان، وسمي اللحد لأنّه مائل في أحد جانبي الجدث، ويقال: لحدت الميِّت وألحدته[(١)].

وقال ابن منظور: اللحد: هو الشقّ الذي يكون في جانب القبر موضع الميت، لأنه قد أميل عن وسط إلى جانبه، والإلحاد هو: الميل عن القصد، وقيل: هو الميل والعدول عن الشيء[(٢)].

وقال الرازي: ألحد في دين الله، أي: حاد عنه وعدل، وألحد الرجل، ظلم في الحرم[(٣)].

الإلحاد في الاصطلاح:

قيل هو: التنكُّر للذات الإلهية، وجحود الرسالات السماوية التي أنزلها الله سبحانه على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم[(٤)].

وقيل هو: إنكار كلّ ما هو غيبي تنزّل بالكتب، وجاء على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام[(٥)].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: الملاحدة حصروا العلوم المدركة في دائرة ضيِّقة، فما أدركوه بحواسِّهم وتجاربهم أثبتوه، وما لم يدركوه بذلك نفوه وأنكروه، فأنكروا من

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ٢٣٦/٥ "مادة: لحد".

(٢) لسان العرب، ابن منظور ٣٨٨/٣ "مادة: لحد".

(٣) مختار الصحاح، الرازي ٥٩٣ "مادة: لحد".

(٤) حرّية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية، عبدالله ناصح علوان ٧٥.

(٥) المرجع السابق ٧٥.

أجل ذلك علوم الغيب كلها، وجحدوا ربوبية الله وأفعاله، وعطّلوه من صفاته وأفعاله، إذْ لم يدخلوا ذلك تحت مداركهم القاصرة، وهذا باطل شرعاً وعقلاً[(1)].

ولعلّ من أهم ما يعين الدعاة إلى الله حال دعوتهم للملاحدة استعانتهم باستخدام الاستدلالات التالية:

- الاستدلالات الفطرية.
- الاستدلالات العقلية.
- الاستدلالات الحسية.
- الاستدلالات العلمية.

أولاً: الاستدلالات الفطرية:

فإنّ من أبرز الأدلة على وجود الله جل جلاله ليس خارجاً عن ذات الإنسان وكيانه، بل هي الفطرة التي فطر الناس عليها، إنه ذلك الشعور الطبيعي بأنّ فوق كل الكائنات المحدودة المتناهية كائناً غير محدود ولا متناه يهيمن على كل شيء، ويدبّر كل أمر، يرجى ويخشى، ويعظّم ويقصد، شعور ينبع من أعماق الإنسان بغير تعلّم ولا تلقين ولا اكتساب، إنَّ الذي علم الإنسان أولى البدهيّات مثل أنّ ١+١ = ٢ دون برهان ولا مقدمات منطقيَّة، هو الذي علّمه أنَّ له إلهاً لا يستغني عنه، بدون حاجة إلى استدلال، ولا انتقال من معلوم إلى مجهول، ومن مقدمات إلى نتائج[(2)].

وكثير من علومنا ومعارفنا ليس لها دليل في أنفسنا غير شعورنا الفطري بها، ومهما تقدَّمت العلوم والمكتشفات فإنها لا تزيدنا عنها شيئاً غير ما توصَّلنا إليها لفطرتنا.

---

(١) الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ١٤ وما بعدها.

(٢) انظر: وجود الله، د. يوسف القرضاوي ١١٩ وما بعدها.

ومن الأمثلة على ذلك: انسياق الطفل حديث الولادة بفطرته الأولى إلى ارتضاع ثدي أمّه دون أن يتعلّم ذلك من معلم، ودون أن يدركه بدليل عقلي، أو دليل حسي ظاهر.

وكذلك الأم تفزع وتهبُّ للنجدة إذا ما احتاجها وليدها، والناس متى أحسوا بالجوع أكلوا، ومتى ما تعبوا وجهدوا خلدوا للراحة، كل هذا وغيره دليل كبير على أهمية إثارة الجانب الفطري لدى المدعو؛ لأنه أدعى للاستجابة والتأثير[1].

ثانياً: الاستدلالات العقلية:

يمكن تقسيم الاستدلالات العقلية إلى عناصر متعددة منها:

١- دليل السببية:

فكل ما في الكون في حركة دائمة وتغيّر مستمر، وأنَّ كل تغيّر في الوجود لابد له من سبب يحدثه، سواء أظهر لنا ذلك السبب أم لم يظهر، وإذا ما سلّمنا بذلك فإن النتيجة التي تقودنا إليها هاتان الحقيقتان هي أنّ هناك سبباً أصيلاً نشأت عنه كل تلك الأسباب، ومسبب الأسباب لابدّ وأن يكون كامل القدرة وكامل الحياة والصفات، ولهذا اعتمد أعرابي بدوي على هذا الدليل في إثباته وجود الله سبحانه عندما قال: "البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، أفلا تدلّ على الصانع الخبير"[2].

٢- دليل التلازم:

فإنّ في الكون مخلوقات كثيرة ومتعددة وأعظمها خلق الإنسان، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧].

---

(١) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، للمؤلف ٥٥ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ٤٥.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

وقد تقرّر في العقل مع الشرع أنَّ الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:

إما أنهم خلقوا من غير شيء، أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال.

وإما أنهم خلقوا أنفسهم، وهذا أيضاً محال، فإنه لا يتصوّر أن يوجدوا أنفسهم، فإذا بطل الأمران، وبان استحالتهما تعيَّن.

القسم الثالث: أنَّ الله هو الذي خلقهم[1].

ثالثاً: الاستدلالات الحسية:

لقد زخرت نصوص القرآن الكريم والسنة النبويه الشريفة بهذا اللون من الاستدلالات الحسية المشاهدة في (خلق السماء، والأرض، والجبال، والماء، والنار، والنباتات بأنواعها، وغير ذلك)، والتي تدل على وجود خالق عظيم يستحق العبادة والتقدير وهو الله جلّ جلاله، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[الرعد: ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٣-٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق ٨١٦.

﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم: ٤٨].

رابعاً: الاستدلالات العلمية:

حفل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على نصوص كثيرة تعين الدعاة في الإفادة من مضامينها في استخدامها أدلة، وتحويل مضامينها فكرة لإقامة الحجة على المدعوين، فقد خلق الله سبحانه الإنسان والحيوان و النبات، وجعل كل عينة من هذه المخلوقات على أحسن حال كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢]، بل دعا القرآن الكريم إلى التفكر في خلق الإنسان وما هو عليه فقال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

قال القرطبي رحمه الله: "قال ابن شريك: هذا الإنسان يأكل من مكان واحد، ويخرج من مكانين، ولو شرب لبناً محضاً لخرج منه الماء ومنه الغائط، فتلك الآية في النفس"[(١)].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك﴾ [الانفطار: ٧-٨]. وقد دعا القرآن الكريم إلى أهمية تدبّر خلق الإنسان وكيف هو كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧/٤٠.

ويستمر حديث القرآن عن خلق الحيوان في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٦٦].

وفي خلق النبات وما فيه من إبداع، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

وفي باب دعوة الملاحدة يحسن بالدعاة مراعاة التركيز على النقاط التالية:

١- تركيز الدعاة على كرامة الإنسان وأصل خلقته، وقيمة الفضل لديه، وطرح الأسئلة الثلاثة الكبرى الملحَّة في نفس الإنسان عليه وهي:

- من الذي أوجدني بعد أن لم أكن شيئاً مذكوراً؟

- ما الغاية التي وجدت من أجلها مزوَّداً بخصائص من عقل وإرادة حرّة، وغرائز وأهواء وشهوات في حياةٍ ذات مسالك متشعبة فيها الخير والشر؟

- إلى أين المصير بعد عبور جسر هذه الحياة، وما هي النتائج التي تترتب على أعمالي فيها؟[(١)]

٢- تركيز الدعاة على الدعوة إلى إثبات وجود الخالق سبحانه، واستحقاقه للعبادة الصحيحة.

٣- الانتقال بعد ذلك إلى دعوة الملاحدة إلى أهمية اعتقاد صحة رسالة محمد ﷺ وعالميتها وخلودها.

٤- إقامة الدعاة الحجج والبراهين على عدم التعارض بين العلم والدين.

---

(١) انظر: الوجيزة في العقيدة الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ١٣ وما بعدها.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبي الرحمة الذي كانت بعثته خيراً للعالمين، وعلى من سار على نهجه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد كان من فضل الله سبحانه عليَّ الاشتغال بالدعوة تعلّماً وتعليماً، وأسأله سبحانه أن يجعل أعمالنا خالصة مقبولة، ولعلّ من أهم النتائج التي اشتملت عليها مادة هذا الكتاب ما يلي:

١- إيضاح المفهوم الحقيقي لمصطلح الدعوة إلى الله، والفارق بينه وبين المصطلحات الدعوية الأخرى من: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاحتساب، والنصيحة، والموعظة، والبلاغ، والإصلاح.

٢- التعريف بحكم الدعوة إلى الله تعالى، وأقوال علماء الأمة في ذلك، واستدلالات الجمهور ومخالفيهم، مع بيان فضل الدعوة إلى الله، وأهميتها، والحاجة إليها.

٣- بيان ضوابط الدعوة إلى الله، وأنّ الدعوة الصحيحة هي التي تضبط بالضوابط الشرعية المقررة، وهي التي تراعي الآداب المرعيَّة المعتبرة.

٤ - إيضاح أهمية إعداد الدعاة، وبيان صفاتهم الأساسية واللازمة.

٥ - التعريف بوسائل الدعوة والتمثيل عليها.

٦ - التعريف بأساليب الدعوة والتمثيل عليها

٧- إيضاح كيفية دعوة المسلمين.

٨- إيضاح كيفية دعوة أهل الكتاب.

٩- إيضاح كيفية دعوة المشركين.

١٠- إيضاح كيفية دعوة الملاحدة.

وفي الختام: أسأل الله سبحانه أن يوفقنا للعلم النافع، والعمل الصالح، والقول السديد، والعمل الرشيد، وأن يبصِّرنا بعيوبنا ويهدينا إلى الصواب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

فهرس المراجع والمصادر

-أ-

١- ابن قيم الجوزية "حياته وآثاره" معالي الشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد، ط١، مطابع دار الهلال، الرياض: ١٤٠٠هـ.

٢- الأحكام السلطانية، أبو يعلي محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي، ط دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تخريج وتعليق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، ط دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤- أحكام القرآن، أبوبكر محمد بن عبدالله بن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط دار الجيل، بيروت.

٥- أحكام القرآن، الجصاص، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦- إحياء علوم الدين، أبوحامد الغزالي، تخريج: الحافظ العراقي، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

٧- الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيَّام، ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٨- أدب الدنيا والدين، الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا، ط٤ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٩- (ادع إلى سبيل ربك)، د. مصلح سيّد بيومي، ط٤ دار القلم، الكويت: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٠- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط مكتبة المعارف، الرياض: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، معالي أ.د. صالح بن فوزان الفوزان، ط٣ دار العاصمة، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٢- إرشادات لتحسين خطبة الجمعة، د. محمد عبدالقادر أبو فارس، ط١ دار الفرقان، عمّان: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٣- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، أ. د. حمد بن ناصر العمار، ط٣ دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٤- الاستقامة، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: أ.د. محمد رشاد سالم، ط مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

١٥- الإسلام "شريعة الزمان والمكان"، عبدالله ناصح علوان، ط دار السلام، بيروت: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٦- أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، ط مطابع أخبار اليوم، القاهرة.

١٧- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل عبدالموجود وزملائه، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٨- أصول الحسبة في الإسلام "دراسة تأصيلية مقارنة"، د. محمد كمال الدين إمام، ط١ دار الهداية، مدينة نصر: ١٤٦٠هـ/١٩٨٦م.

١٩- أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ط٩ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٠- الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط١ الأمانة العامة لجائزة المدينة المنورة، المدينة المنورة: ١٤٢١هـ.

٢١- أعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، ابن القيم، راجعه وقدّم له وعلّق عليه: طه عبدالرؤوف سعد، ط دار الجيل، بيروت.

٢٢- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط دار المعرفة، بيروت.

٢٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم، ط دار الحديث، القاهرة.

٢٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد عزالدين البيانوني، ط٢ دار السلام، القاهرة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، السيد جلال الدين العمري، تعريب: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٦هـ/١٩٨٤م.

٢٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، ط١ دار الكتاب الجديد، بيروت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

-ت-

٢٧- تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالله بن صالح القصير، ط١ دار العاصمة، الرياض: ١٤١١هـ.

٢٨- التعريفات، الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، ط١ عالم الكتب، بيروت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٩- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ط١ دار الفيحاء دمشق: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٣٠- التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٣١- التوحيد، معالي أ.د. صالح بن فوزان الفوزان، ط مؤسسة الحرمين الخيرية، الرياض.

٣٢- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ط٣ المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٧هـ.

٣٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- ث -

٣٤- ثلاثة الأصول وأدلتها، الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب، ط مؤسسة النور: الرياض.

- ج -

٣٥- جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط٢ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٣٦- جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: د. وهبة الزحيلي، ط١ دار الخير، بيروت: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٣٧- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط٢ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ح -

٣٨- حريّة الاعتقاد في الشريعة الإسلامية، عبدالله ناصح علوان، ط١ دار السلام، بيروت: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣٩- الحسبة "تعريفها ومشروعيتها وحكمها"، د. فضل إلهي، ط١ إدارة ترجمان الإسلام، باكستان: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٤٠- حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته، أ. د. حمد بن ناصر العمار، ط٢ دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

-د-

٤١- دراسات في علوم القرآن، أ.د. زاهر بن عواض الألمعي، ط١ مطبعة النرجس، الرياض: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٤٢- دعوة الإسلام، السيد سابق، ط١ دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٧٣م.

٤٣- الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها" د. أحمد غلوش، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٩٨٧م.

٤٤- الدعوة الإسلامية "دعوة عالمية"، محمد بن عبدالرحمن الراوي، ط٣ مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٤٥- الدعوة إلى الله "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الواعي، ط١ مكتبة الفلاح، الكويت: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٦- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ط الدار السلفية، الكويت: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٤٧- دعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد أحمد العدوي، ط٤ القاهرة: ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

٤٨- دعوة الرسل إلى الله تعالى "غايتها وتاريخها" د. محمد رجب شتيوي، ط١ مؤسسة سعيد للطباعة، طنطا: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٩- الدعوة "قواعد وأصول"، جمعة أمين عبدالعزيز، ط٢ دار الدعوة، الإسكندرية: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٥٠- الدعوة والإنسان، د. عبدالله الشاذلي، ط١ المكتبة القومية الحديثة، طنطنا.

٥١- الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد البارودي، ط١ دار الوفاء، جدة: ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

- ر -

٥٢- ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، أ.د. سيد محمد بن ساداتي الشنقيطي، ط١ دار عالم الكتب، الرياض: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- ز -

٥٣- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ط٤ الكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٥٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- س -

٥٥- سنن الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، طبع بعناية: محمد أحمد دهمان، ط دار إحياء السنة النبوية.

٥٦- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ط٣ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٥٧- السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ط البابي الحلبي وشركاه، القاهرة: ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

- ش -

٥٨- شرح صحيح الإمام مسلم، يحيى بن شرف النووي، ط٢ دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٥٩- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العزّ الحنفي، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، ط٩ المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٠- شرح القواعد الفقهية، أحمد بن محمد الزرقا، ط٣ دار القلم، دمشق: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٦١- الشريعة، أبوبكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦٢- شيخ الإسلام ابن تيمية إمام السيف والقلم، سعد صادق محمد، ط١ دار اللواء، الرياض: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

-ص-

٦٣- الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ط١ دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٦٤- صحيح الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط١ دار الفكر، بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٦٥- صحيح الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، ط١ الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٦٦- صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، ط٣ المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٧- صحيح سنن ابي دا ود، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٦٨- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٩- صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٧٠- صفات الداعية، أ. د. حمد بن ناصر العمار، ط٢ دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٧١- صفات الداعية النفسية، عبدالله ناصح علوان، ط١ دار السلام، القاهرة: ١٤٠٥هـ/١٩٩٥م.

٧٢- صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين، ط١ دار العاصمة، الرياض: ١٤١٣هـ.

-ط-

٧٣- الطبقاة الكبرى، ابن سعد، ط دار صادر، بيروت.

٧٤- طريق الهجرتين وباب السعادتين، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

٧٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، تصحيح وتعليق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي إخراج محب الدين الخطيب، ط مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٧٦- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، ط١ دار الوفاء، المنصورة: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٧٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تصحيح وتعليق: محمود عبدالوهاب فايد، ط الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض.

٧٨- فضل الدعوة والداعية، عبدالله ناصح علوان، ط١ دار السلام، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٧٩- فقه الدعوة في إنكار المنكر، عبدالحميد البلالي، ط١ دار الدعوة، الكويت: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨٠- الفوائد، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية، ط٢ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

-ق-

٨١- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط١ دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٨٢- قواعد الدعوة إلى الله، د. همَّام عبدالرحيم سعيد، ط٢ دار العدوي، عمّان: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٨٣- قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان بن راجح الهجاري، ط١ مطابع ابن تيمية، القاهرة: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٨٤- القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي، ط١ مكتبة السلام، الرياض: ١٤١٢هـ.

-ك-

٨٥- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروقي التهانوي، تحقيق: د. لطفي عبدالبديع، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٧٧م.

٨٦- كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، ط١ دار السلام، القاهرة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

-ل-

٨٧- لباب التأويل في معاني التأويل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، ط دار المعرفة، بيروت.

٨٨- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي ط ٣ دار صادر، بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

-م-

٨٩- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، ا.د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط١ دار الوطن، الرياض.

٩٠- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط إدارة المساحة العسكرية، القاهرة: ١٤٠٤هـ.

٩١- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط٢ دار الفكر، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٩٢- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ط١ دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٦٧م.

٩٣- مدار السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط دار الكتاب العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٩٤- المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٩٥- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان، ط١١ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٩٦- مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب، ط١ دار المعرفة، بيروت: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٩٧- مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة ونموذج المملكة العربية السعودية، معالي أ.د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط مطابع العبيكان، الرياض: ١٤١٦هـ.

٩٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، إشراف: معالي أ.د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، تحقيق: شعب الأرنؤوط وزملائه، ط١ مؤسسة الرسالة بيروت: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٩٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، شرح وفهارس، أحمد محمد شاكر، ط٣ دار المعارف، القاهرة: ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

١٠٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، فهرس الرواة، محمد ناصر الدين الألباني، ط مؤسسة قرطبة.

١٠١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد محمد المقرّي، ط دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٠٢- مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة" محمد الغزالي، ط٥ مطبعة حسّان، القاهرة: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٠٣ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ بن أحمد الحكمي، ط الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض.

١٠٤- معالم القربة في أحكام الحسبة، ابن الأخوة القرشي، تحقيق: محمد محمود شعبان، وصديق أحمد المطيعي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٧٦م.

١٠٥- المعجم الوسيط، إعداد: مجمع اللغة العربية، ط٢ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٦- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط دار الجيل، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٠٧- مفتاح دار السعادة، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية، ط الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض.

١٠٨- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط دار المعرفة، بيروت.

١٠٩- المقدمة، عبدالرحمن بن خلدون، ط٤ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١١٠- من أقوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، زياد بن محمد السعدون، ط١ دار الوطن، الرياض: ١٤١٣هـ.

١١١- من ركائز الدعوة، د. مجدي الهلالي، ط دار البشر، طنطا: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١١٢- من صفات الداعية، محمد الصباغ، ط٢ المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩١هـ.

١١٣- من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محمد بن عبدالله الخطيب، ط دار المنار الحديثة، مصر.

١١٤- المنهاج في ضوابط السلوك والمنجيات، هاشم محمد، ط٢ مكتبة دار البيان، الكويت: ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١١٥- منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، ونور عالم الندوي، ط دار نشر الكتاب الإسلامي، الكويت.

١١٦- منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، ط ١ دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١١٧- الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، تحقيق: عبدالله دراز، ط دار لكتب العلمية، بيروت.

-ن-

١١٨- نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عتر، ط١ دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٤١٠هـ/١٩٨٦م.

١١٩- نحو أسلوب أمثل للدعوة الإسلامية، د. محمود محمد عمارة، ط٢ دار التراث العربي، القاهرة: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٢٠- نصوص الدعوة في القرآن الكريم "دراسة تأصيلية" أ. د. حمد بن ناصر العمار، ط١ دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٢١ - النصيحة "شروطها وضوابطها" د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ط١ دار الوطن، الرياض: ١٤١٤هـ.

١٢٢ - نظام الحسبة في الإسلام، عبدالعزيز بن محمد المرشد، ط مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

١٢٣ - نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبدالرحمن بن نصر الشيزري، تحقيق: د. السيد الباز العريني، ط٢ دار الثقافة، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

-و-

١٢٤ - وجود الله، د. يوسف القرضاوي، ط مكتبة وهبة، القاهرة.

١٢٥ - الوجيزة في العقيدة الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط١ دار القلم، دمشق: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٢٦ - وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط١ دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٢٧ - الولاء والبراء في الإسلام، معالي أ.د. صالح بن فوزان الفوزان، ط دار الوطن، الرياض: ١٤١١هـ.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الصف والتصميم والإخراج وتنفيذ أعمال الطباعة
دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ – ٤٧٧٣٩٥٩ – ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠
E-mail: eshbelia@hotmail.com

هذه السلسلة

دابت كثير من المؤس ... ية - مشكورة- على إقامة دورات علمية ... تلك الدورات الحاجة إلى مناهج وكتب تُدر ... لذلك عزمت دار كنوز إشبيليا في الرياض بالتعاون مع بعض المهتمين على وضع مناهج وتأليف كتب خاصة بهذه الدورات ، فكونت لجنة علمية متخصصة ، فانجزت العمل وفق المراحل التالية :

١- وضع تصور عن دورات العلوم الشرعية . من حيث : تعريفها ، وأهدافها ، وفئات الدارسين فيها ، وأسماء المقررات الدراسية فيها .

٢- وضع الخطط الدراسية لفئات الدارسين .

٣- وضع المناهج الدراسية من حيث : أهدافها ، ووجهتها ، ومفرداتها .

٤- وضع ضوابط التأليف .

٥- تأليف المقررات من قبل متخصصين في كل علم من العلوم الشرعية .

٦- فحص المقررات من قبل متخصصين .

وقد قسمت الفئات الموجهة إليها هذه المقررات إلى خمس فئات :

فئة العامة ، وفئة الناشئة ، وفئة المسلمين الجدد ، وفئة المتخصصين في غير علوم الشريعة ، وفئة المتخصصين في علوم الشريعة .

كما وضعت اللجنة خطة دراسية لكل فئة من الفئات السابقة .

كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٩١٤٧٧٦ ٩٦٦١١+ - ٤٩٦٨٩٩٤ ٩٦٦١١+ فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣ ٩٦٦١١+
ردمك: ٩٩٦٠-٩٤٩٣-٨-٩